الوزير علـي بـن يقطيـن
ودوره السياسي في العصر العبَّاسي

The Minister Ali Bin Yaqti
And his political role in the abbasiyyu era

م.م فارس هاشم عبَّاس المسعودي

Ass.lec. Preparation

Faris Hashem Abbas Al Masoudi

كلية العلوم الاسلامية / جامعة كربلاء

College of Islamic Sciences / University of Karbala

الكلمات المفتاحية: علي بن يقطين، الوزارة في العصر العباسي، الحكومة الاسلامية.

Keywords: Ali bin Yaqtin, the ministry in the Abbasid era, the Islamic government.

الملخص

علي بن يقطين أحد وزراء الخليفة هارون الرشيد، ومن خيار الشيعة في المائة الثانية، ومن أتباع الإمام الكاظم (ع) لكنه كان يخفي ذلك، وكان الإمام قد فسح له بتصدي الوزارة حتى يخفف من وطأت الظلم عن المظلومين والأبرياء.

حظي بمنزلة عظيمة عند الإمام الكاظم (ع) وانسحبت هذه المنزلة إلى الفقهاء والعلماء ورجال الدين حيث أجمع الكل على أنه من الثقات وأنه على مكانة رفيعة في الطائفة.

له عدد من المؤلفات منها: الملامح، مناظرة الشاك بحضرته، وهناك مسائل كثيرة تعلمها من الإمام أبي الحسن(ع).

أدى دوراً سياسياً كبيراً حيث كان يمثل ذراع الإمام الأيمن في البلاط العباسي، في الوقت نفسه الذي امتاز به بمنزلة رفيعة عند الرشيد وعلى ما يبدو أن هذه المنزلة هي التي دفعت عدداً من الوشاة للإنتقام منه ولكن بدون جدوى..

حاول ابن يقطين استغلال منصبه وتحت شعار ((كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الأخوان)) لذلك لم يبخل بأي جهد يمكن بذله في سبيل مساعدة إخوانه الشيعة سواء على مستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي ولذلك أسدى خدمات جليلة للشيعة خلدها التاريخ.

Abstract

Ali bin Yaqtin ،one of the ministers of the Caliph Harun al-Rashid ،and one of the best alshiyea in the second-century ،and a follower of Imam al-Kadhim (peace be upon him) ،but he was hiding it ،and the imam had allowed him to confront the ministry to relieve the oppressed and the innocent.

He had great status with Imam al-Kazim (peace be upon him) ،and this status was extended to the doctrine ،scholars and the religious ،as all agreed that he was one of the trustworthy ones and that he had a high position in the sect.

He has many books ،including Almalamih, Munazarat alshaak bihadratih, and there are many issues that he learned from Imam Abi Al-Hassan (peace be upon him.(
He played a great political role as he Represents the right hand of the imam in the abbasiyyu court ،at the same time he was distinguished by a high status with Al-Rashid ،and it seems that this status was what prompted many of the informers to move from him, but to no avail. Ibn Yaqteen tried to exploit his position under the slogan ((the penance of the Sultan's work of charity to the brothers)), so he did not skimp on any effort that he could make in order to help his Shiite brothers, whether on a social, economic or political level.

المقدمة

على الرغم من إن الأئمة (عليهم السلام) حرصوا قدر الإمكان على الابتعاد عن المناصب التي تكون على تماس مباشر مع السلطة سواء كانت أموية أو عباسية إلا انه لكل قاعدة شواذها وخاصة إذا كان هذا الأمر المخالف للأفضل وليس للأسوء؛ لذلك سوف نتطرق في هذا البحث إلى احد الشخصيات التي عرفت بميولها الشيعية الشديدة وفي الوقت نفسه وصلت إلى أكثر المناصب حساسية في البلاط العباسي، وهو منصب الوزارة في حكومة هارون الرشيد ألا وهي شخصية علي بن يقطين أبو الحسن الكوفي ذلك الإنسان الذي سخر ذاته لخدمة المجتمع على الرغم من المحاولات التي لا تحصى للإيقاع به لكن عناية الإمام الكاظم (ع) وتسديده له جعلت جميع تلك المحاولات تبوء بالفشل، وقد حاول مراراً التخلص من منصبه ذلك إلا إن الإمام كان يردعه عن الإقدام على مثل هذه الفكرة لما فيه خير الأمة وصلاحها وفي الوقت نفسه ضمن له ثلاث نقاط من أهم ما تكون وهي أن لا يمسه حر الحديد أو الفقر أو المرض، شريطة أن يخدم المجتمع ولا يبخل بأي جهد يمكن بذله لخدمة إخوانه المسلمين، وفعلاً التزم ابن يقطين بوصية إمامه ولم يتمكن الرشيد من القبض عليه طيلة فترة حياته التي بلغت (ثماني وخمسين) سنة على الرغم من الجهات المخابراتية والجاسوسية المكثفة التي كانت محيطة به.

تعريف لفظة الوزارة ومصدر اشتقاقها وأهميتها:

تعدُّ الوزارة من أهم المناصب السياسية في الدولة بعد الرئاسة، واسمها يدل على مطلق الإعانة، ولما كانت لها هذه الأهمية فلابد من توضيح معناها، ومعنى الوزارة في اللغة مشتق:

من الوِزر (بكسر الواو) وهو الثقل لان الوزير يحمل من الحكومة أعباء الدولة ويقوم بإدارة شؤونها[1] ومنه قوله تعالى ((حتى تضع الحرب أوزارها)) [2] أي أثقالها.

أو أنها مأخوذة من الوَزَرَ (بفتح الواو والزاي) وهو الملجأ و المعتصم[3] كما في قوله تعالى ((كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر)) [4] لان الخليفة أو السلطان يلجأ إلى رأيه وتدبيره ومعونته عند نزول الشدائد ووقوع النوائب[5].

أو أنها مأخوذة من الأزر وهو الظهر[6] لان الخليفة يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر ومنه قوله تعالى ((واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري)) [7].

كل ذلك يدل على إن أصولها عربية ولكن بعض المستشرقين يعيدون لفظة الوزارة إلى الفارسية القديمة أي (البهلوية) لما بين كلمتي وزير العربية و (فيشرا Vi – Chira) البهلوية من الشبه ومعناها القاضي أو الحكم[8].

ولا شك أنّ بين القضاء والوزارة فرقاً واضحاً مما لا يسمح لنا بموافقة المستشرقين على رأيهم في اشتقاق هذا اللفظ من أصل عربي لا علاقة له بالفارسية.

والوزارة بمعناها الاصطلاحي هي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية، لان اسمها يدل على مطلق الإعانة، فطبيعة عمل الوزير أن يعاون الخليفة في شتى الأمور، وهي بهذا الشمول تفوق المناصب الأخرى التي تخصصت كل منها لعمل معين كالكتابة والحجابة والجباية[9].

أما عن أصولها الوظيفية فهي قديمة جداً فقد كان ملوك العرب قبل الإسلام في اليمن والحيرة والشام يسمون من يؤازرهم أعباء الملك بـ (الراهن) و (الزعيم) و (الكافي) و (الكامل)[10]. وقد أوضح ابن خلدون الغرض من إنشاء هذه الوظيفة فقال: ((إن السلطان في نفسه ضعيف يحمل امراً ثقيلاً فلابد له من الاستعانة بأبناء جنسه وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنه، فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وعباده))[11].

نشأة الوزارة وتطورها في العصر الإسلامي

كانت الدولة العربية في بدايتها لاتزال دولة صغيرة تهدف إلى تثبيت أركانها وتدعيم قواعدها وكان الرسول(صلى الله عليه وآله) على رأس هذه السلطة حيث يجمع في يديه السلطتين الدينية والدنيوية. وكان الصحابة يعاونوه في إدارة شؤون الدولة المختلفة فكانوا يقومون بمهام الوزراء وإن لم يلقبوا بهذا اللقب ومن هذه المهام التي قام بها الصحابة كتابة ما نزل به الوحي. فمن كتب للرسول علي وعثمان، كما كان خالد بن سعيد العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان له بعض الكتب التي ترتبط بمصالح الدولة وكان المغيرة بن شعبة والحسن بن نمر يكتبان الكتب التي تتعلق بمصالح عامة الناس. وكتب عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة الكتب التي تختص بالمداينة والعهود والمعاملات، وتولى زيد بن ثابت الكتابة إلى الملوك إلى جانب كتابة ما نزل به الوحي وكان حنظلة بن الربيع كاتباً احتياطياً ينوب عن كل كاتب إذا غاب عن عمله[12].

وفي عهد الخلفاء الراشدين اتسعت الدولة فقسمت إلى ولايات وكان على رأس كل ولاية أمير له إمامة الصلاة والفصل في القضايا وإقامة الحدود، وأصبح هنالك بعض المستشارين يرجع إليهم الخليفة عند الضرورة[13].أما في عهد الدولة الأموية فقد استحالت الخلافة إلى ملك استبدادي وتمتع الخلفاء الأمويين بكل مظاهر الأبهة التي تمتع بها الملوك والقياصرة خصوصاً في عهد عبد الملك بن مروان ومن جاء بعده من خلفاء، إلا أن وظيفة الوزارة لم تأخذ مكانها ضمن وظائف الدولة، بل ظل الخليفة يعتمد على كتابه إلى جانب مستشارين يختارهم للاستعانة بآرائهم[14].

والوزارة لم تمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دول بني العباس فان العباسين لما قضوا على الخلافة الأموية بمساعدة الفرس، كان من الطبيعي أن يأخذوا منهم نظم الحكم والإدارة، فحلت جماعات من الموظفين محل الارستقراطية العربية التي كانت تحيط بالخليفة الأموي، وقسمت إلى طبقات يسيطر بعضها على بعض وكان على رأسها الوزير[15]. ومن هنا بدأت تتحدد وظيفة الوزير وسلطاته وبدأت مكانة الوزراء بالظهور في العصر

العباسي، واخذوا في منازعة الخلفاء سلطاتهم مما أدى إلى عدد من النهايات المحزنة التي تعرض لها الكثيرون منهم[16].

التوجهات العلوية لوزراء البلاط العباسي

أثرت حركات الشيعة التي شهدها العصر العباسي الأول في موقف الوزراء العباسيين من كل من البيت العلوي والدولة العباسية، كما ومن ثمّ أثرت في موقف الخلفاء العباسيين من وزرائهم، فقد أبدى كثير من الوزراء العباسيين ميولاً صريحة أو خفية نحو الزعماء العلويين مما أدى إلى تشكيك الخلفاء بهم[17].

كان من الطبيعي وقد قامت الدولة العباسية على العنصر الفارسي أن يسيطر هذا العنصر سيطرة شاملة على شؤون الدولة وعلى كل مناحي الحياة فكان معظم وزراء الخلفاء العباسيين من الفرس أمثال أبو سلمه الخلال، وأبو أيوب المورياني، ويعقوب بن داود بالإضافة إلى البرامكة والفضل بن سهل[18].

من المعروف أن معظم الفرس عرفوا بتشيعهم ومحاولة سحب بلاط الخلافة من أيدي العباسيين إلى الدولة الفارسية، فكان أبو سلمه الخلال أول من وضع عليه اسم الوزير، وشهر بالوزارة في دولة بني العباس، ولم يكن قبله من يكن يعرف بهذا النعت لا في دولة بني أمية ولا في غيرها من الدول. وقد أطلق عليه الخليفة اسم (وزير آل محمد)، وقد أبدى ميولاً واضحة للبيت العلويين إذ بعث بثلاث رسائل إلى ثلاث من الزعماء العلويين يعرض عليهم الدعوة لهم، ولكنهم رفضوا قبول دعوته[19].

وبعد مجيء الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور استبد بالملك فظلت الوزارة في عهده اسم على غير مسمى وذلك لاستبداده وبطشه، ولهذا السبب اتسمت الإدارة العباسية في العصر العباسي الأول بالمركزية الشديدة وكانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق[20].ويبدو أن المنصور أراد تقيد سلطة الوزراء وقتل كل من شك فيهم فكان الخلال في مقدمة هؤلاء[21].

ومن الوزراء العباسيين الذين اتهمهم الخلفاء العباسيين بالتشيع والميل إلى العلويين بعد أبي سلمه "يعقوب بن داود بن طهمان" مولى بني سليم وكان هذا شيعياً على مذهب الزيدية وعند توليته الوزارة ولى كثيراً من رجال الشيعة من الولايات والمناصب الكبرى حيث كان يرغب في قيام دولة علوية[22].

وكان ليعقوب مكانة كبيرة لدى الخليفة، الأمر الذي أدى إلى ازدياد حساده، والحاقدين عليه ولم تكن عليه مثلبة سوى ميوله الشيعية للخلاص منه فوصلت الأنباء بان يعقوب يرغب في إنشاء دولة علوية وانه على اتصال بشخصيات علوية كثيرة أهمها دفع المهدي إلى محاولة اختياره فأرسل إليه جارية وظيفتها التجسس عليه ودفع إليه احد السجناء العلويين فأطلق يعقوب سراحه وعندما سأله المهدي عنه اخبره بأنه مات واستحلفه على ذلك فاقسم

يعقوب بذلك فأمر المهدي بإيداعه السجن حتى فقد بصره وبقى هناك حتى تولى الرشيد الخلافة سنة (170هـ) فأطلق سراحه[23].ولذلك لم يمنح منصب الوزارة إلا لمن وجد فيه الإخلاص للبيت العباسي ويتم التأكد من ميوله.

أما في عهد الرشيد فقد كانت هنالك موجة انفتاح في عهده أكثر من بقية الخلفاء فبدأ عهده بتولي البرامكة للوزارة وفوّض إليهم السلطة في تيسير شؤون الحكم وإدارة البلاد باسمه فأرادت سلطاتهم وعلا نفوذهم حتى بدءوا يتجاوزون حدودهم الوظيفية تدريجياً مما حدى بالرشيد إلى التنكيل بهم[24].

أشار بعض المؤرخين إلى إن من الأسباب التي أدت إلى تنكيل الرشيد بوزرائه البرامكة هو ميولهم العلوية التي عرفوا بها ومن ذلك ما قام به يحيى البرمكي* من إمداده ليحيى بن عبد الله العلوي** بمأتي ألف دينار خلال ثورته في بلاد الديلم[25].

كما قام ابنه موسى بن يحيى البرمكي بتحريض أهل خراسان على نبذ الطاعة وإبطال الخلافة وما يزيد هذه الاتهامات تأكيد أن جد هذه الأسرة (خالد بن برمك) يعتبر من كبار الشيعة[26]. وفي حقيقة الأمر لم تكن هذه الميول صادقة كونهم سعوا قدر الإمكان إلى إفساد العلاقات بين العباسيين والعلويين فقد كان السبب سعاية يحيى بن خالد بموسى بن جعفر(ع) وضع الرشيد ابنه محمد (الأمين) بن زبيدة في حجر جعفر بن محمد الأشعث، فساء ذلك يحيى، وقال: ((إذا مات الرشيد وأفضى الأمر إلى محمد انقضت دولتي ودولة ولدي وتحوّل الأمر إلى جعفر بن محمد الأشعث وولده، وكان قد عرف مذهب جعفر في التشيّع، فأظهر له أنَّه على مذهبه، فسرَّ به جعفر، وأفضى إليه بجميع أموره، وذكر له ما هو عليه في موسى بن جعفر(ع).. فلما وقف على مذهبه، سعى به إلى الرشيد، فكان الرشيد يرعى له موضعه وموضع أبيه من نُصرة الخلافة، فكان يقدّم في أمره ويؤخّر، ويحيى لا يألو أن يخطب عليه، إلى أن دخل يوماً إلى الرشيد، فأظهر له إكراماً، وجرى بينهما كلامٌ مسّ به جعفر بحرمته وحرمة أم أبيه، فأمر له الرشيد في ذلك اليوم بعشرين ألف دينار، فأمسك يحيى أن يقول فيه شيئاً حتى أمسى، ثم قال للرشيد: يا أمير المؤمنين، قد كنت أخبرك عن جعفر ومذهبه، فتكذب عنه، وهنا أمر الفصل، قال: وما هو؟ قال: إنَّه لا يصل إليه مالٌ من جهةٍ من الجهات إلا أخرج خُمُسَه، فوجّه به إلى موسى بن جعفر، ولست أشكُّ أنَّه قد فعل ذلك في العشرين ألف دينار التي أمرت بها، فقال هارون: إنَّ في هذا الأمر لفيصلاً، فأرسل إلى جعفر ليلاً، وكان قد عرف سعاية يحيى به، فتباينا وأظهر كلٌّ واحد فيهما لصاحبه العداوة، فلما طرق جعفر رسول الرشيد بالليل، خشي أن يكون قد سمع فيه قول يحيى، وأنَّه إنَّما دعاه ليقتله، فأفاض عليه ماءً، ودعا بمسكٍ وكافور فتحنّط بها، ولبس بُردةً فوق ثيابه، وأقبل إلى الرشيد، فلما وقعت عليه عينه وشمَّ رائحة الكافور، ورأى البردة عليه، قال: يا جعفر ما هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد علمت أنّه قد سُعِي بيّ عندك، فلما جاءني رسولُك في هذه الساعة لم آمن أن يكون قد قدح في قلبك ما يُقال عليَّ فأرسلتَ إليَّ لتقتلني، فقال: كلا، ولكن قد خبرت أنَّك تبعث إلى موسى بن جعفر من كلِّ ما يصير إليك بخُمُسِهِ، وأنَّك قد فعلت ذلك في العشرين ألف دينار، فأحببت أن أعلم ذلك، فقال جعفر: الله أكبر يا أمير المؤمنين، تأمر بعض خدمك يذهب فيأتيك بها

بخواتيمها.فقال الرشيد لخادم له: خذ خاتم جعفر وانطلق به حتى تأتيني بهذا المال، وسمّى له جعفر جاريته التي عندها المال، فدفعت إليه البدر بخواتيمها، فأتى بها الرشيد، فقال له جعفر: هذا أول ما تعرف به كذبَ مَن سعى بي إليك. قال: صدقت يا جعفر، انصرف آمناً، فإنّي لا أقبل فيك قولَ أحد، وجعل يحيى يحتال في إسقاط جعفر))[27].،ولكن هذه الميول وان كانت مزيفة فهي على الأقل غطاء يمكن ارتداءه لتحقيق أهداف ومصالح ذاتية.

كل ذلك دفع الرشيد إلى الحذر من الوزراء والتدقيق في أمرهم قدر الإمكان ومحاولة التعتيم على العنصر الشيعي وعلى مسالة الإمامة حتى تمكن احد أفراد الشيعة من التوصل إلى هذا المنصب من غير أن يشعر الرشيد به على الرغم من دقة الجهاز المخابراتي في عصره وهذا الشخص كان " علي بن يقطين".

نسبه:

هو علي بن يقطين بن موسى البغدادي[28] (أبو الحسن)[29]، كوفي الأصل، مولى بني أسد[30]، ومن وجوه هذه الطائفة وأعيانها كانت له منزلة سامية عند الأمام أبي الحسن موسى (عليه السلام) [31].

ولادته و نشأته:

ولد علي بن يقطين في الكوفة[32]، وقد اختلف المؤرخون في يوم ولادته فبين قائل [33] إنه ولد سنة 120هـ، وبين قائل[34] إنه ولد سنة 121هـ، وأخر يذكر[35]أن سنة ولادته هي 124هـ.

لكن أشهر ما قيل في تاريخ ولادته هو الرأي الأخير أي سنة 124هـ وذلك لتأيد أغلب المصادر الأصول لهذا الرأي، كما يذكر انه عاش من العمر (58) سنة إذ توفي في سنة (182هـ)[36] وبذلك يكون تاريخ ميلاده هو سنة 124هـ.

أما عن نشأته فقد نشأ بالكوفة[37]، وبها ترعرع، وكان قبل يبيع الابزار وهي التوابل[38]وكان أبوه يقطين من أنصار العباسيين الكبار، لذلك كان مطارد من قبل مروان الحمار الخليفة الأموي لاعتقاله فيختفي عنه[39] ورحلت زوجة يقطين إلى المدينة برفقة ابنيها علي وعبيد في غيابه، ورجع يقطين بعد انهيار الحكم الأموي وظهور العباسين إلى الكوفة وانضم إلى أبي العباس السفاح، والتحقت به زوجته مع ابنيهما، وعلى أية حال تربى علي بن يقطين في الكوفة وأصبح من أصحاب الإمام السابع[40].

فضائله:

تحلى علي بن يقطين بجملة من الصفات الكريمة حيث اجتمعت في شخصيته كل عناصر الفضل والعفة التي لا يسعنا الإحاطة بها وتصويرها، و نشير إلى جملة من مكارم أخلاقه التي تجلت في صور من سلوكه، فقد عرف علي ببره وإحسانه حيث انفق أموالاً ضخمة في وجوه البر و الإحسان وأوصل الإمام بصلات كبيرة تتراوح ما بين المائة ألف درهم إلى ثلاث مائة ألف درهم[41] وزوج ثلاث أو أربع من أولاد الأمام(ع)، وكان المهر الذي دفعه لهم عشرة ألاف درهم، كما دفع ثلاثة ألاف للوليمة[42]. بالإضافة إلى انه كان يعول بعض عوائل الشيعة فقد قام بنفقة الكاهلي*** وعياله حتى توفي.

وما يضاف أيضاً إلى سلسلة مكارمه انه ذات يوم كان صديقاً لأبي العتاهية وكان يبره في كل سنة ببر واسع فأبطأ عليه في سنة من السنين وكان إذا لقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يسر به ويرفع مجلسه ولا يزيده على ذلك فلقيه ذات يوم وهو يريد دار الخليفة فاستوقفه فوقف له فانشد:

حتى متى ليت شعري يا ابن يقطين — اثني عليك بمال منك توليني

إن السلام وان البشر من رجل — في مثل ما أنت فيه ليس يكفيني

هذا زمان ألح الناس فيه على — تيه الملوك وأخلاق المساكين

أما علمت جزاك الله صالحةً — وزادك الله فضلاً يا ابن يقطين

إني أريدك للدنيا وعاجلها — ولا أريد يوم الدين للدين([43])

فقال علي بن يقطين لست والله ابرح ولا تبرح من موضعنا هذا إلا راضياً وأمر له بما كان يبعث به إليه فحمل من وقته وعلي واقف إلى أن تسلمه وقال:

يا ليت شعري ما يكون جوابي — أما الرسول فقد مضى بكتابي

جاء الرسول ووجهه متهلهلاً — يقرا السلام علي من أحبابي([44])

أما في مجال العبادة فقد عرف بشدة عبادته وورعه وتقواه وزهده، فقد ذكر بعضهم انه أحصى لعلي بن يقطين سنة في الموقف مائة وخمسون ملبياً([45])، بالإضافة إلى ذلك فقد كان يرسل في كل عام عدة إلى الحج نيابةً عنه، وكان يدفع إلى كل منهم عشرة إلى عشرين ألف درهم، وكان يبلغ عدد المبعوثين في العام 150 شخصاً وأحياناً (250 – 300) شخص([46]).

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى ورع وإيمان هذه الشخصية التي سخرت ذاتها لخدمة المجتمع، غير إن التدقيق في عدد هؤلاء المبعوثين ونظراً للمبالغ الكبيرة التي كانت تدفع إليهم تعطي عمقاً أكبر لهذا الموضوع.ولو أخذنا عدد المبعوثين و المبالغ التي تدفع إليهم على نحو متوسط واعتبرنا عددهم 200 شخصاً في السنة مثلا ولكل واحد عشرة آلاف، لكان مجموع المبلغ المدفوع إليهم قرابة المليونين درهم.هذا من ناحية ومن ناحيةٍ أخرى كان المبلغ الذي يدفع في كل عام هو قسمة من مؤونة علي السنوية والفائض من مصاريفه بعد دفع الحقوق الشرعية كالزكاة والخمس والصدقات المستحبة والهبات وغيرها. وعليه كم ينبغي أن تكون إيرادات علي بن يقطين السنوية حتى تكفي لكل ذلك؟

ويبدو إن احد العلماء قد تنبه إلى هذه الفقرة وبينها بهذا النحو:((ظني إن الإمام الكاظم (ع) قد أحل التصرف في الخراج وان علي بن يقطين جعل أجر الحج وسيلة لدفع هذا المال إلى الشيعة الأطهار لئلا يطعن عليه

أعداؤه))[47]. ومما يؤيد هذا الأمر وجود شخصيات كبيرة كعبد الرحمن بن الحجاج****وعبد الله بن يحيى الكاهلي وهما من أصحاب الأمام ومقربيه ومن المغضوب عليهم من قبل السلطة[48].والنقطة الأخرى التي يمكن ملاحظتها في خطة علي بن يقطين هذه هو إشراك الشيعة لا سيما شيوخهم في موسم الحج بدافع التعريف بالمذهب الشيعي والمناظرة مع الفرق الدينية الأخرى وإيجاد موجة ثقافيةٍ شيعيةٍ.

مكانته العلمية:

ركّز الإمام الكاظم(عليه السلام) في تربيته للجماعة الصالحة على ضرورة الانتماء الفكري المعرفي لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وتحرك الإمام(ع) بهذا الاتّجاه مستغلا النهضة الفكرية التي حقّقها الإمام الصادق(عليه السلام) من قبل فقام بإكمال عمل أبيه في بناء الكادر المتخصص فامتدّت قواعده من هذا النوع حتى ذكر له (319) صحابياً[49] كل منهم تلقى العلم والمعرفة من الإمام الكاظم(ع) وقد خضعت هذه الجماعة بانتمائها الفكري إلى برمجة متقنة يمكنها مواجهة التحديات الثقافية والفقهية والإبداع في ميدانها الخاص..

وقد امتاز علي بن يقطين بمكانة علمية متميزة يشهد له بذلك علماء علم الرجال[50] حيث كان من أصحاب الإمام السابع وتلامذته البارزين وأفاد منه الكثير وروي عنه الكثير من الروايات[51]، غير انه لم ينقل عن الإمام الصادق سوى رواية واحدة[52]. ومن صفاته الأخرى انه كان ذائع الصيت وذا شخصية اجتماعية مرموقة مضافاً إلى انه كان يعد من العلماء ورجال العلم في عصره، وله مؤلفات متعددة[53] هي:

ما سئل عنه الإمام الصادق من الملاحم/ وعلى ما يبدو إن علي بن يقطين لم يكن هو السائل بل الجامع لأسئلة طرقت على الإمام الصادق(ع)، بدليل انه لم يروِ عنه سوى رواية واحدة[54].

مناظرة الشاك بحضرته.

مسائل تعلمها من الإمام الكاظم (ع).

قدم علي بن يقطين وبسبب ما يتمتع به من موقع اجتماعي وسياسي خدمات قيمة للشيعة، وكان ملاذاً للشيعة.

رواياته:

اهتم علي بن يقطين بجمع الحديث عن الأئمة (عليهم السلام)، حيث عرف بكثرة رواياته [55] عن عدد من الرواة وروي الكثير عنه[56]، وضمن أبواب متعددة منها[57]، باب الزكاة والذهب والطواف وأخرى في استعمال فضل وضوء الحائض والجنب وأمثالها، وباب عقود البيع والآجارات وفي باب الرجل يشتري المتاع، وفي باب الحج والطواف وكذلك في باب الأوصياء ويتضمن باب الوصية إلى مدرك وغير مدرك وفي باب انه يجوز أن يوصي إلى امرأه، ومن أوصى إلى مدرك وقد روي هذا الخبر بعينه على نحو مباشر عن علي بن يقطين عن الإمام

الكاظم(ع). وهناك باب خاص للصلاة ويشتمل على صلاة السفر والزيارات وإتمام الصلاة في الحرمين وباب صلاة الجمعة.

كما نقل بعض الأسئلة الفقهية التي دارت بين الخلفاء الأئمة (عليهم السلام)[58] ومن ذلك ما روي عنه قال: ((سأل المهديُّ أبا الحسن عليه السّلام عن الخمر، هل هي محرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ ؟ فإنّ الناس إنّما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها! فقال له أبو الحسن عليه السّلام: بل هي محرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ. فقال له: في أيّ موضع هي محرّمة في كتاب الله جلّ اسمه، يا أبا الحسن ؟ فقال: قول الله عزّ وجلّ ((قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ)) [59]، فأمّا قوله: (ما ظَهَرَ مِنْها) يعني الزنا المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية، وأمّا قوله عزّ وجلّ (وَما بَطَنَ) يعني ما نُكح من الآباء، لأنّ الناس كانوا قبل أن يُبعث النبيّ صلّى الله عليه وآله إذا كان للرجل زوجةٌ ومات عنها تزوّجها ابنه من بعده، إذا لم تكن أُمَّه، فحرّم الله عز و جل ذلك.وأمّا الإثم، فإنّها الخمرة بعينها، وقد قال الله عزّ وجلّ في موضع آخر: ((يَسْألونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فيهِما إِثْمٌ كَبيرٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ)) [60] ، فأمّا الإثم في كتاب الله فهي الخمرة والميسر، وإثمهما أكبر كما قال الله تعالى.قال: فقال المهدي: يا علي بن يقطين! هذه والله فتوى هاشمية.قال: قلت له: صدقت والله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يُخرِج هذا العلم منكم أهل البيت. قال: فوالله ما صبر المهدي إلاّ أن قال لي: صدقت يا رافضي)) [61].

منزلته عند الإمام الكاظم (ع):

عرف علي بن يقطين بوثاقته[62] وجلالة قدره[63] وبلغ منزلة عظيمة عند الإمام أبي الحسن (ع)، كما كانت له مكانه عظيمة في الطائفة وعُدَّ من خواص الإمام الكاظم [64] والمتصلين به سراً[65].

وبلغ من منزلته ماذكره الحجاج عنه بقوله ((قلت لأبي الحسن (ع) إن علي بن يقطين أرسلني إليك برسالة أسالك الدعاء له، فقال:في أمر الآخرة؟فقلت: نعم، قال: فوضع يده على صدره فقال:ضمنت لعلي بن يقطين الجنة ولا تمسه النار أبداً)) [66].

وكان الإمام يرحب به أجمل ترحيب ويستقبله أفضل استقبال، فقد روي أنه (ع) رأى يوماً علي مقبلاً فالتفت إلى أصحابه وقال ((من سره أن يرى رجلاً من أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله) فلينظر إلى هذا المقبل، فقال له رجل من القوم: هو إذن من أهل الجنة، فقال(ع):أما أنا فاشهد أنه من أهل الجنة)) [67]. ولم يكن ذلك بمعزل عن خط الإمامة الذي كان يؤيده من آونة إلى أخرى على نحو مباشر أو غير مباشر ومن ذلك قوله (ع): ((إني استوهبت علي بن يقطين من ربي عز وجل البار فوهبه لي، إن علي بن يقطين بذل ماله ومودته فكان لذلك منا مستوجباً))[68].

وزعمت إحدى نساء الشيعة أنها قالت لأبي الحسن الثاني (ع): ادع لعلي بن يقطين، فقال((قد كفى علي بن يقطين))[69]، وقال أبو الحسن (ع) ((من سعادة علي بن يقطين إني ذكرته في الموقف))[70].وزعم ابن أخي الكاهلي، إن أبا الحسن (ع) قال لعلي بن يقطين: ((اضمن لي الكاهلي*** وعياله اضمن لك الجنة)) [71].

وزعم ابن أخيه أن علياً لم يزل يجري عليهم الطعام والدراهم وجميع أبواب النفقات مستغنين في ذلك حتى مات أهل الكاهلي كلهم وقرابته وجيرانه[72].

وقال أبو الحسن (ع): ((إن لله مع كل طاغية وزير من أولياءه يدفع به عنهم دعوة أبي عبد الله (ع) علي بن قطين وما ولد: فقال: ليس حيث تذهب، أما علمت إن المؤمن في صلب الكافر بمنزلة الحصاة يكون في المزبلة يصيبها المطر فيغسلها ولا يضر الحصاة شيئا))[73].

وعلى ما يبدو إن علياً كان مؤهل وبشكل كامل إن يحظى بهذا المقدار و الاهتمام وهذا ما يؤيده لنا أحد الشيعة بقوله:((رأيت العبد الصالح(ع) على الصفا يقول: الهي في أعلى عليين اغفر لعلي بن يقطين))[74]، بل بلغ من رفعة الشأن أن يكون دائماً في مخيلة الإمام فقد ورد عن داود الرقي – أحد أصحاب الإمام الكاظم– قال: ((دخلت على الإمام أبي الحسن (ع) يوم النحر، فقال مبتدئاً: ما عرض على قلبي أحد وأنا على الموقف إلا علي بن يقطين فانه ما زال معي وما فارقني حتى أفضت))[75].

وغير ذلك من الأقوال المستفيضة التي إن دلت على شيء إنما تدل على جلالته وعلو منزلته[76]، وبقي على هذه الحال حتى توفي رحمه الله وهو من الأصحاب الخلص للإمام(ع) فقد ذكر عنه(ع) قوله:((أما أن علي بن يقطين مضى وصاحبه عنه راضٍ))[77].

توطئة

عاصر علي بن يقطين عدداً من الخلفاء العباسيين فكان على علم بالأحداث التي وقعت للشيعة والعلويين ولذلك حاول قدر الإمكان التخفيف من شدة هذه الأحداث وإمدادهم بالمعونات المادية والمعنوية، ولكن على الرغم من ذلك لا يمكن إخفاء الصور الإجرامية التي ارتكبها الخلفاء العباسيين تجاه الشيعة والبيت العلوي حيث لم يدخروا أي جهد يمكن بذله للتخلص منهم بشتى الوسائل من تعذيب وتنكيل وقتل. وفيما يأتي استعراض مبسط لأهم تلك المواقف:

موقف الخلفاء العباسيين من الشيعة والعلويين:

لقد مرت ظروف وأحداث على الشيعة بلغت أقصى حدود الشدة والقسوة في عهد العباسيين فقد كانت السنوات الأربع التي حكم فيها السفاح مرحلة انتقالية بين عهدين عهد مضى وعهد أطل على العالم الإسلامي استقبله المسلمون بشوق ولهفة وبخاصة الشيعة الذي قام على أكتافهم وبني بسواعدهم راجين أن تتحقق لهم عدالة

الإسلام ورحمته وسماحته، ولكن آمالهم قد تبددت وظنونهم قد خابت فما إن استتبت لهم الأمور وقضوا على خصومهم الأساسيين حتى عادوا إلى سيرتهم وسياستهم ولكن بشكل أسوأ وأفظع مما كانوا عليه.

صحيح لم يتعرض السفاح في عهده لأحد من العلويين وشيعتهم ولكن ذلك لم يكن منه شرفاً ووفاءً لمن مهدوا له الأمور وأجلسوه على كرسي الحكم بل لأنه كان يتتبع فلول الأمويين ويطاردهم من مكان إلى مكان وخلال تلك المدة بالإضافة إلى الشطر الأخير من عهد الأمويين حيث كانت الدولة في طريقها إلى الانهيار وجد الإمامان الصادقان (عليهما السلام) فرصة مؤاتية لبث علوم أهل البيت ونشرها بين الناس وللوقوف في وجه تلك التيارات الغريبة التي غزت الفكر الإسلامي ومهد لها الحاكمون لإلهاء المسلمين بتلك الصراعات العقائدية عن واقعهم المرير.

لقد وقف الأئمة من أهل البيت في وجه تلك التيارات الغريبة التي غزت القلوب، والأفكار بحزم وصلابة، وتركوا للعالم صوراً عن العقيدة الإسلامية خاليةً من كل ما كان يخططه لها الحاقدون من زيف وتحريف بعد الرقابة الشديدة والتهديد بالقتل لمن كان يروي حديثا عن علي وبنيه أو ينسب لهم فضلا أو أثراً كريما، وكان علماء التابعون إذا رادوا أن يحدثوا عن علي يتحاشون التصريح باسمه فيقولون روي عن أبي زينب وجاء عن أبي حنيفة انه كان يقول:((لقد كانت العلامة بيننا وبين المشايخ إذا أردنا أن ننقل عن علي (ع) أن نقول قال الشيخ حتى لا نتعرض للأذى والمطاردة))[78] وكان من آثار تلك الفترة الانتقالية التي امتدت من أواخر العهد الأموي إلى السنين الأولى من عهد المنصور شيوع الحديث والآثار العلية التي أغنت المكتبة العربية في مختلف العلوم وبخاصة ما كان منها في التشريع والفلسفة والأخلاق والتفسير وغير ذلك من أنواع المعرفة، وقد انتشر التشيع في تلك الفترة وأحس الناس بالانفراج وراحوا يتحدثون عن العلويين وآثارهم في كل بلد ومكان فدب الخوف في نفس المنصور وأسرته فأخذوا يقربون فقهاء المذاهب ويعملون على انتشار آثارهم واعتنقوا هم مذاهبهم للحد من انتشار التشيع ومذهب أهل البيت[79] واشتدت الحملات المسعورة على العلويين وبدأت الفجوة تتسع بين البيتين حتى بلغت أقصى حدودها.

وقد ذكر المسعودي في مروجه: ((أن المنصور جمع أبناء الحسن وأمر بجعل القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم وحملهم في محامل مكشوفة للناس وبغير وطاء كما فعل يزيد بن معاوية بأسرى كربلاء وأودعهم مكانا تحت الأرض لا يعرفون فيه الليل من النهار ولا أوقات الصلاة وعز عليهم إن تفوتهم الصلاة حتى وهم في أشد الأحوال ضيقاً وحرجا فجزأوا القرآن خمسة أجزاء وكانوا يصلون عند فراغ كل واحد من حزبه، ويقضون الحاجة الضرورية في مواضعهم فاشتدت عليهم الروائح الكريهة وتورمت أجسامهم وماتوا من الجوع والعطش والمرض))[80].

وجاء في الكامل((إن المنصور دعا محمد ابن عبد الله بن عثمان وكان شقيقا لعبد الله بن الحسن من أمه فأمر بشق ثيابه حتى بانت عورته وضربه مائة وخمسين سوطا فأصاب سوط منها وجهه فقال للجلاد: ويحك اكفف

عن وجهي، فسمعه المنصور فقال للجلاد: الرأس الرأس، فضربه على رأسه ثلاثين سوطا فأصابت سياطه إحدى عينيه فسالت على وجهه. ومضى ابن الأثير يقول: وأحضر المنصور محمد بن إبراهيم بن الحسن وكان يعرف بالديباج لجمال صورته فقال له: انه الديباج الأصغر لأقتلنك قتلة لم اقتلها أحداً، ثم أمر به فبني عليه أسطوانة وهو حي فمات منها))[81].

ومع كثرة الجرائم التي ارتكبها الأمويون مع العلويين وشيعتهم فلم يحدث التاريخ عن احد منهم انه كان يعذب ويقتل بهذا النحو ونظراً لأنهم كانوا يتفننون في جرائمهم على نحو لم يسبقهم إليه احد، قال بعض الشعراء: والله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس.

وطلب الدوانيقي القاسم بن إبراهيم طباطبا ففرَّ منه إلى بلاد السند، فأرسل في طلبه وهو يفرّ من بلد إلى بلد على قدميه حافيا والدم يسيل منهما فقال:

عسى جابر العظيم الكسير بلطفه سيرتاح للعظم الكسير فيجبر

عسى الله لا تيأس من الله أنه ييسر منه ما يعزَّ ويعسر[82]

وكان المنصور يفتخر بذلك وهو يقول: ((لقد قتلت من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون)) هذا بالإضافة إلى عشرات الألوف الذين أبادهم وشردهم في الآفاق، وكان يتفنن في أساليب القتل والتعذيب بنحو لم يعرف عمن سبقه من الحاكمين[83].

وهنا يعقب المقريزي على هذه الجرائم فيقول: ((وأين الجور والقسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من رحمة النبوة، وتالله ما هذا من الدين في شيء بل هو من باب قول الله سبحانه ((فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم)) [84].

هذا كله بالإضافة إلى ما كان يصنعه المنصور مع الإمام الصادق من التهديد والوعيد بين الحين والآخر ولكن الله سبحانه أنجاه من شره ومن وعيده وتهديده وهلك المنصور وذهب في متاهات إفناء مع الجبابرة والطغاة وبقي جعفر الصادق مع الخالدين من ذوي الرسالات إلى قيام يوم الدين[85].

وكان المنصور مع كل ذلك يقرب إليه العلماء والوعاظ ليستر بذلك جرائمه، فمن ذلك أنه ((كان يجلس والى جانبه احد الوعاظ فتأتيه الجلاوزة وفي أيديهم السيوف يضربون بها الأعناق فإذا وصلت الدماء إلى ثيابه يقول للواعظ عظني فإذا ذكره الواعظ بالله اطرق برأسه كالمنكر، ثم يعود الجلاد لضرب الأعناق فإذا أصابت الدماء ثياب المنصور ثانية يقول للواعظ عظني))[86].

إن المنصور وغيره من الحاكمين حينما يقربون رجل الدين والوعاظ إنما يفعلون ذلك لإلهاء الناس عن جورهم وظلمهم واستخفافهم بأوامر الله ونواهيه وحقوق عباده، لقد كان المنصور يقول: ((القينا الحب إلى العلماء فالتقطوه

إلا ما كان من سفيان الثوري فانه أعيانا فراراً))[87] وكلمة القينا الحب تكاد تكون صريحة في انه كان باتصاله بهم كالصياد الذي يلقي الحب للطيور لتقع في شباكه.

لقد هلك المنصور مع الهالكين ولم يترك أحداً ممن بقي حيا من العلويين إلا وهو خائف مشرد من جور ظلمه وترك غرفة من غرف قصره مملوءة من رؤوس العلويين لولده المهدي ليسير من بعده على خطاه مع العلويين، وبالفعل لقد مارس المهدي سياسة أبيه فيمن استطاع أن يقبض عليه ممن بقي مع الأحياء منهم وكانوا قد تفرقوا في البلدان خائفين متسترين وظفر بعلي بن العباس بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (عليه السلام) فأخذه ووضعه في سجنه وأخيراً دس إليه السم فتفسخ لحمه وتفشت اعظاؤه[88].

ومضى المهدي العباسي وهو يتتبع فلول العلويين ليتشفى بقتلهم والتنكيل بهم وترك الحكم لولده موسى الملقب بالهادي وكان كما يصفه المؤرخون[89] قاسي القلب شرس الأخلاق يتلذذ بالتنكيل بأبناء عمومته العلويين وغيرهم من الصلحاء والأبرياء، وفي عهده كان على المدينة رجل من ولد عمر بن الخطاب يتحامل على الطالبيين ويسومهم صنوف الألوان من العذاب ويفرض عليهم الإقامة الجبرية في المدينة على أن يثبتوا وجودهم لدى السلطة الحاكمة بين الحين والآخر ويلصق بهم التهم المشينة كالخمر والفجور ونحو ذلك ليبرر إساءته إليهم، وفي عهده كانت معركة فخ التي قتل فيها أكثر من مائة وخمسين علويا قيادة الحسين بن علي بن الحسن.

وهلك موسى الهادي بعد مضي خمسة عشر شهراً من حكمه ليترك الحكم لأخيه هارون الرشيد الذي مثل أدوار جده المنصور مع العلويين وشيعتهم وأدوار الأمويين في الفسق والفجور والملاهي ونثر الملايين من الدنانير تحت أقدام الراقصات والمغنيات العاهرات[90]، ومع انه كان من أسوأ حكام تلك الأسرة الظالمة فقد شاع عنه انه كان من أعظم ملوك العالم شأنا وأسماهم مكانة، وتحدث المؤرخون[91] والناس عن شهرته وأدواره في تشجيع العلوم والآداب وإدارة شؤون الملك وبناء المساجد والقناطر والمستشفيات وما إلى ذلك من المشاريع العمرانية والاقتصادية التي تشبه الأساطير، وألبسته تلك الأساطير ثوبا فضفاضاً من العظمة والجلالة تركته في الأذهان من أعاظم ملوك العالم وأقواهم، في حين انه كان كغيره من السلاطين منصرفاً إلى الملذات والشهوات والجواري والتنكيل بالعلويين وكل من ينكر عليه جوراً وظلماً وفساداً في الأرض.

موقف هارون الرشيد من العلويين:

مر العلويون بظروف استثنائية في عصر هارون الرشيد، حيث كانت الأوضاع تتراوح ما بين مد وجزر في عصر من سبقه إلا إن الرشيد قد ضرب جميع الأرقام القياسية في شدة تعامله مع العلويين حيث كان الرشيد شديد العداء والحقد عليهم، وقد أقسم حين تولّى الخلافة على استئصالهم وقتلهم فقال: ((والله لاقتلنّهم . أي العلويين . ولأقتلنّ شيعتهم))[92]وفعلاً نفّذ قسمه بقتل طائفة كبيرة من أعلام العلويين هم خيرة المسلمين علماً وورعاً في الدين ومن ذلك ما يروى إن عبد الله البزاز النيسابوري قال: ((كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي

الطوسي معاملة فرحلت إليه في بعض الأيام فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعلي ثياب السفر لم أغيرها وذلك في شهر رمضان في وقت صلاة الظهر، فلما دخلت إليه رأيته في بيت يجري فيه الماء فسلمت عليه وجلسنا فأتى بطشت وإبريق فغسل يديه ثم أمرني فغسلت يدي وأحضر المائدة وذهب عني إني صائم وفي شهر رمضان، ثم ذكرت فأمسكت يدي، فقال لي حميد: مالك لا تأكل؟! فقلت: أيها الأمير هذا شهر رمضان ولست بمريض ولا بي علة توجب الإفطار، ولعل الأمير له عذر في ذلك أو علة توجب الإفطار..

فقال: ما بي علة توجب الإفطار، واني لصحيح البدن، ثم دمعت عيناه وبكى، فقلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيها الأمير؟!.فقال: أنفذ إليّ هارون الرشيد وقت كونه بطوس، في بعض الليل أن اجب.. فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتقد وسيفاً اخضر مسلولاً وبين يديه خادم واقف فلما قمت بين يديه رفع رأسه إليّ وقال:كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟! فقلت: بالنفس والمال..فأطرق ثم أذن لي بالانصراف، فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إليّ اجب أمير المؤمنين، فقلت في نفسي: أنا والله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وانه لما راني استحيا مني، فعدت إلى بين يديه فرفع رأسه وقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟1 فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسم ضاحكاً ثم أذن لي في الانصراف، فلما دخلت إلى منزلي لم ألبث أن عاد الرسول إليّ فقال: اجب أمير المؤمنين، فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إليّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟!. فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين!! فضحك، ثم قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك هذا الخادم. فتناول السيف الخادم وناولنيه وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحته فإذا فيه بئر في وسطه وثلاث بيوت أبوابها مغلقة ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبان مقيدون. فقال: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، وكانوا كلهم علويين من ولد علي وفاطمة فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فاضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم ثم أرمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر. ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه عشرون نفساً من العلوية من ولد علي وفاطمة مقيدون فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فاضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على آخرهم، ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من العلوية من ولد علي وفاطمة مقيدون عليهم الشعور والذوائب فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء أيضا، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فاضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر حتى أتيت على تسعة عشر نفساً منهم، وبقى شيخ منهم عليه شعر فقال لي : تباً لك يا مشؤوم أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله وقد قتلت من أولاده ستين نفساً قد ولدهم علي وفاطمة (عليهم السلام)؟!. فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر إلي الخادم مغضباً وزبرني، فأتيت على ذلك الشيخ ورميت به في تلك البئر، فإذا فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله فما ينفعني صومي وصلاتي وأنا لا اشك إني مخلد في النار))[93].

وعندما لاحظ الرشيد جماهير غفيرة من الأمة الإسلامية تتهافت على زيارة مرقد الحسين(ع) قام بهدم الدور المجاورة له، واقتلاع السدرة التي كانت إلى جانب القبر الشريف كما أمر بحرث أرض كربلاء ليمحو بذلك كلّ أثر للقبر المطهر، وقد انتقم الله منه فإنّه لم يدُر عليه الحول حتى هلك في خراسان[94].

وامتدّ سلوك هذا الحاكم الفاسد إلى الأمة، حيث أشيع في البلاد الإسلامية كل أنواع الفساد، وتحوّلت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية في عصره إلى مسرح للّهو، والرقص، وحانات الخمور ودور المجون، حتى أصبحت هذه المظاهر سمة بارزة يتميّز بها ذلك العصر، وعكس لنا الشعراء انطباعاتهم وأحاسيسهم باللهو وحبّ الجواري والتلذّذ بالخمرة، وكرّس أبو نؤاس مجهوده الفكري فيوصف الأكواب والكؤوس والسقاة والخمّارين والندماء وافتتن الناس بخمرياته[95].

وامتاز عصر هارون بالفقر والبؤس، الذي عمّ الملايين فنجد جموع المسلمين تعرى وتجوع، فيما زخرت بغداد بأموال المسلمين والتي كرّست عند طبقة خاصة من الخلفاء وأبنائهم وعشيرتهم ووزرائهم والمغنين والجواري والخمّارين والوشاة والمنتفعين من مائدة الخلافة.

وحيث ظهر الفقر والبؤس في موطن كان منشئاً للكفر. فقد ظهرت في ذلك العصر حركات إلحادية نشطت بين البسطاء.

يقول (ولها وزن): ((إنّ هناك صلة وثيقة بين الدعوة العباسية والزنادقة، و إنّ العبّاسيين في ذلك الوقت جمعوا الزنادقة حولهم ولم ينبذوهم إلاّ فيما بعد))[96].

والغريب أنّ هذه الحركات الهدّامة التي انتشرت في البلاد الإسلامية مثل (المزدكيّة) وغيرها كانت تدعو للتحلّل من جميع القيم وهي نوع من أنواع الشيوعية، يقول الشهرستاني : ((إنّ مزدك أحلّ النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة كاشتراكهم في المال والنار والكلاء))[97].

حدود العمل مع السلطة الجائرة:

من المعروف إن أئمة أهل البيت (ع) كانوا قد حرموا على أتباعهم على نحو قاطع أي درجة من التعاون مع الظالمين سواء في تقديم الخدمات العامة التي تسهم في توطيد دعائم سلطانهم أو التي تؤدي إلى القبول به أو تقديم العون لهم في ظلمهم وجورهم أو استلام الأعمال ذات العلاقة بالسلطة والولاية: فعن أبي بصير قال: ((سألت أبا جعفر(ع) عن أعمالهم – أي حكام الجور – فقال لي: يا أبا محمد لا ولا مدة قلم أن أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينه مثله أو حتى يصيبوا من دينه مثله))[98] كما روي ايضاً عن صفوان بن مهران الجمال أنه قال: ((دخلت على أبي الحسن الأول (ع) فقال لي: يا صفوان أن كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً فقلت: جعلت فداك أي شيء هو قال: اكراؤك جمالك من هذا الرجل يعني هارون قال: والله ما أكريته آشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو ولكني أكريته لهذا الطريق يعني طريق مكة ولا أتولاه بنفسي ولكن ابعث معه غلماني فقال لي: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟ فقلت: نعم جعلت فداك قال: فقال لي: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت : نعم قال: من أحب بقاءهم فهو منهم ومن كان منهم كان ورد النار قال صفوان : فذهبت فبعت جمالي عن آخرها فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني فقال: يا صفوان بلغني انك بعت جمالك قلت: نعم قال: أنا

شيخ كبير وان الغلمان لا يفون بالأعمال فقال: هيهات هيهات إني لي علم من أشار عليك بهذا أشار عليك بهذا موسى بن جعفر قلت: مالي ولموسى بن جعفر؟ فقال: دع هذا عليك فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك[99].

ونلاحظ من هذه الرواية إن العمل عند السلطان الجائر في كلام الإمام (ع) يمثل خطيئة كبيرة، تتعدى خطورة الهلاك الجسدي في نتائجها السلبية على الإنسان في مسؤوليته أمام الله، لأنها تمثل لون من ألوان الدعم العملي للسلطان الجائر في التفاف الناس حوله وتقوية سلطته وتنظيم أموره في حكمه وتثبيت قواعد ملكه، الأمر الذي يسيء إلى سلامة الخط المستقيم في الشريعة، والى اهتزاز العدل في الحكم في حياة الإنسان..ولكن هذا الموقف السلبي من الحكم الجائر لا يبقى في دائرته السلبية إذا كان هذا الشخص يقوم بتقديم خدمتين أساسيتين للجماعة الصالحة: احدهما: دفع الأضرار والأذى عن الجماعة وأفرادها ثانيهما: تقديم الخدمات والتسهيلات والدفاع عن حقوق الجماعة وأبنائها أو إيصال حقوقهم المشروعة لهم. فعن الحسن بن علي بن النعمان قال ((لمّا بني المهدي في المسجد الحرام بقيت دار في تربيع المسجد، فطلبها من أصحابها فامتنعوا، فسأل عن ذلك الفقهاء، فكلّ قال له: إنّه لا ينبغي أن يُدخِل شيئاً في المسجد الحرام غصباً، فقال له علي بن يقطين: يا أمير المؤمنين! لو كتبت إلى موسى بن جعفر لأَخبرك بوجه الأمر في ذلك. فكتب إلى والي المدينة أن يسأل موسى بن جعفر عن دارٍ أردنا أن ندخلها في المسجد الحرام، فامتنع علينا صاحبها، فكيف المخرج من ذلك ؟ فقال ذلك لأبي الحسن (ع)، فقال أبو الحسن : ولابدّ من الجواب في هذا ؟ فقال له: الأمر لابدّ منه. فقال له: اكتب، « بسم الله الرحمن الرحيم، إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفِنائها، وإن كان الناس هم النازلون بفِناء الكعبة فالكعبة أولى بفِنائها ». فلمّا أتى الكتاب إلى المهدي أخذ الكتاب فقبّله، ثمّ أمر بهدم الدار، فأتى أهل الدار أبا الحسن (عليه السّلام) فسألوه أن يكتب لهم إلى المهدي كتاباً في ثمن دارهم، فكتب إليه أن أرضخ***** لهم شيئاً، فأرضاهم)) [100].

وعن علي بن يقطين قال ((قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر (ع) إن لله تبارك وتعالى مع السلطان أولياء يدفع بهم عن أولياءه))[101]. وثمّة موقف آخر أعرب فيه الإمام الكاظم (ع) عن نقمته وسخطه الشديدين على حكومة هارون، من خلال دعوته إلى حرمة التعاون معهم بأيّ لونٍ كان، وقد منع (عليه السّلام) الركون إليهم مستشهداً بقوله تعالى: ((وَلا تَرْكَنوا إلى الَّذينَ ظَلَموا فَتَمَسَّكُمُ النَّار)) [102]، فحرّم (عليه السّلام) على المسلمين الميلَ إليهم، وأكّد على ضرورة مقاطعتهم حتّى لو كان ذلك مستنداً إلى التخلّي عن بعض المصالح الشخصية، كما حذّر أصحابه من الدخول في أجهزة الدولة أو قبول أيّ وظيفة من وظائفها أو الانضمام إلى أجهزتها. ويتّضح ذلك في موقفه من زياد بن أبي سلمه فعن زياد بن أبي سلمه قال: ((دخلت على أبي الحسن موسى (ع) فقال لي: يا زياد انك لتعمل عمل السلطان؟ قال: قلت اجل قال لي: ولم؟ قلت: أنا رجل لي مروة وليّ عيال وليس وراء ظهري شيء فقال لي: يا زياد لئن اسقط من حالق****** فأتقطع قطعة قطعة أحب لي من إن آت أتولى لأحد منهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم إلا لماذا؟ قلت: لا ادري جعلت فداك قال: إلا لتفريج كربة عن مؤمن أو فك أسره أو قضاء دينه، يا زياد إن أهون ما ينصع الله جلّ وعز بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه

سرادق******* من نار إلا إن يفرغ الله من حساب الخلائق يا زياد فان وليت شيء من أعمالهم فأحسن إلى إخوانك فواحدة بواحدة))[103] ويبدو من خلال بعض النصوص أن هذا العمل لا بد وان يكون بإذن خاص من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أومن الحاكم الشرعي الذي يتولى شؤون الجماعة لئلا يصبح هذا الإذن مفتوحاً أمام الاجتهادات الخاصة والنزوات الشخصية أو فرصة للانزلاق في هذا العمل المحظور وتعرض أفراد الجماعة للانحراف بسبب ذلك. فعن الحسن بن الحسين الانباري عن أبي الحسن الرضا (ع) قال: ((كتبت إليه أربع عشر سنة استأذنه في عمل السلطان فلما كان في آخر كتاب كتبته إليه ذكرت إني أخاف على خيط عنقي وان السلطان يقول لي: انك رافضي ولسنا نشك انك تركت العمل للسلطان للرفض فكتب إلي أبو الحسن(ع) فهمت كتابك وما ذكرت من الخوف على نفسك فان كنت تعلم انك إذا وليت عملك بما أمر به رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثم تصير أعوانك وكتابك أهل ملتك وإذا صار إليك شيء واسيت به فقراء المؤمنين حتى تكون واحداً منهم كان ذا بذاء وإلا فلا))[104]. ((كما كان أئمة أهل البيت يقومون بتسديد هؤلاء الأشخاص في عملهم – أحياناً – ويحرصون على عدم كشف هويتهم)) كما هو الحال في المرحلة التي كان الإمام الكاظم (ع) يعيش فيها أو في المراحل المماثلة لها.. فان من الواضح أن السلبية المطلقة قد تعطل كثيراً من مصالح المؤمنين المستضعفين، وتتحول إلى مشكلة معقدة كبيرة، لا سيما إذا كانت الظروف الموضوعية لا تسمح بسقوط هذا الحكم على مستوى المراحل المنظورة، وفي الوقت الذي يسيطر فيه على مقدرات الواقع الحياتي كله، مما يستوجب الحرج الشديد عليهم، وهو منفي في الشريعة في قوله تعالى: ((وما جعل عليكم في الدين من حرج)) [105].

وهذا هو الذي يجعلنا نستوحي سعة مجال الرخصة للعمل مع السلطة الجائرة، وإيجاد العلاقات معها من اجل القضايا العامة المتصلة بحياة المؤمنين المستضعفين أو القضايا الخاصة المرتبطة ببعضهم، والتي ترقى إلى مستوى الأهمية في حياتهم.

إن الإمام (ع) يحاول قدر الإمكان توصية شيعته حسب حاجة الواقع الموجود لإكمال بناء هذه الجماعة الصالحة باتجاه الأهداف النهائية التي رسمها أهل البيت (عليهم السلام) لها. ومن هنا نجد أن الإمام (ع) يتابع شيعته ويحرص على تكامل بناء هذه الجماعة وأفرادها فيقوم بتطبيق ما يدعو إليه عملياً لتضع خطواته نموذجاً ومناراً يهتدي به أبناء مدرسته ومن ذلك موقفه (ع) من علي بن يقطين عندما أراد احد المؤمنين أن يدخل إليه فلم يأذن له لنلاحظ إن الإمام عبر له بكلمة (أخاك) ليؤكد أن وجودك يا علي في هذا المنصب هو لخدمة هؤلاء لا لشيء ومن هذا أذن له الإمام بالبقاء بل أمره بالبقاء عندما أراد أن يعتزل من هذا الموقع، فعن محمد بن علي الصوفي قال: استأذن إبراهيم الجمال على أبي الحسن علي بن يقطين الوزير فحجبه فحج علي بن يقطين في تلك السنة فاستأذن بالمدينة على مولانا موسى ابن جعفر (ع) فحجبه فرآه ثاني يومه فقال علي بن يقطين: ياسيدي ما ذنبي؟ فقال (ع): حجبتك لأنك حجبت أخاك إبراهيم الجمال وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك إبراهيم الجمال. فقلت: سيدي ومولاي من لي بإبراهيم الجمال في هذا الوقت وأنا في المدينة وهو في الكوفة؟ فقال (ع): إذا كان الليل فامضي إلى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك احد من أصحابك وغلمانك واركب

نجيباً******** هناك مسرجاً. قال: فوافى البقيع وركب النجيب ولم يلبث أن أناخه على باب إبراهيم الجمال بالكوفة فقرع الباب وقال أنا علي بن يقطين. فقال إبراهيم الجمال من داخل الدار: وما يعمل علي بن يقطين الوزير ببابي؟! فقال علي بن يقطين: إن أمري عظيم وآلى عليه أن يأذن له، فلما دخل قال: يا إبراهيم إن المولى (ع) أبى أن يقبلني أو تغفر لي، فقال: يغفر الله لك. فآلى علي بن يقطين على إبراهيم الجمال أن يطأ خده فامتنع إبراهيم من ذلك فآلى عليه ثانياً ففعل. فلم يزل علي يطأ خده وهو يقول: اللهم اشهد، ثم انصرف وركب النجيب، وأناخه في ليلته بباب المولى موسى بن جعفر (ع) بالمدينة فأذن له ودخل عليه فقبله))[106].

ولعل من الطبيعي أن لا تتحول العلاقة إلى حالة استسلام للحكم وإقرار له بحيث تحقق له الشرعية العامة في نظر المسلمين، لاسيما إذا كانت العلاقة من قبل الأشخاص الذين ترتبط الشرعية الفقهية بأقوالهم وأفعالهم..وعلى هذا، فان لابد لهم في الحالات الطارئة أو في الخطوط العامة من تثقيف الأمة بالواقع غير الشرعي للسلطة، وتثقيفهم أيضاً بالدوائر الشرعية التي تتحرك فيها الرخصة فيما تحمله من العناوين الثانوية، أو فيما تختزنه من المصالح العامة التي ترقى إلى درجة الأهمية المزاحمة للمفاسد الأقل أهمية، حيث تجمّد الحكم الشرعي إلى وقت ما..

وهنا قد تحتاج إلى تسجيل ملاحظة مهمة في الجو العام لمثل هذه القضية، وهي ضرورة اعتماد الدقة والحذر في عملية توعية الأمة بالجانب السلبي المتمثل في علاقة الناس بالحكم الجائر، سواء كان ذلك في لقاءات علماء الدين بهم، أو علاقاتهم بعلماء الدين، أو في لقاءات الفعاليات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الأخرى، أو في إقامة العلاقات بينهم وبين بعض التيارات الإسلامية السياسية، لأنه قد ينطلق الكثيرون في الوقوف ضد ذلك على نحو قوي ضاغط، من خلال المفاهيم العامة الرافضة للظلم ورموزه، أو المضادة للكفر ومواقعه، لترمي الذين يقيمون تلك العلاقات بالانحراف والخيانة، من دون الالتفاف إلى الظروف الموضوعية المحيطة بالموقف، أو إلى المصالح الإسلامية العليا المترتبة على ذلك، مما قد يؤدي إلى انكماش الحركة الإسلامية في مواقعها الضيقة، لأنها تخشى الاتهامات الحادة التي قد توجه إليها إذا تحركت في خط الانفتاح السياسي على الآخرين، كما قد يؤدي إلى العزلة والشلل في النظام القيادي على مستوى القضايا العامة،ولكنها تلتقي مع بعض المواقع لتتحرك في الخط المرحلي نحو أهدافه، أو ترتبط ببعض القضايا الحيوية في حاجاته ومصالحه، تلك هي خطورة إعطاء العناوين العامة للمفاهيم الإسلامية من دون تحديد الخطوط التفصيلية الفاصلة بين الرخصة والمنع، حيث يتحول ذلك إلى ذهنية عامة قد يقفز فيها النقد إلى بعض المواقع التي لا يجوز للنقد أن يقترب منها، كونها تمثل مصدر الشرعية للخط والموقع.. فإذا كنا نثقف الأمة على إن الاقتراب من مواقع السلطة الجائرة، أو إيجاد بعض العلاقات معها يمثل انحراف عن خط الاستقامة في رفض الخط الجائر في الحكم، بعيداً عن ملاحظة كل الظروف الموضوعية المحيطة بالموقف، فكيف يمكن أن نفسر سلوك الأئمة (عليهم السلام) في ذلك، مما يوجب وقوع الذهنية العامة في حيرة، وهل يكفي في ذلك الحديث عن التقية كعنصر وحيد للرخصة، في الوقت الذي قد لا تجد فيه للتقية موضعاً في بعض المواقف؟! مما يدعوا إلى الاستثناءات إلى جانب القاعدة والخطوط الصغيرة

في دائرة الخطوط الكبيرة، حتى تتحرك ثقافة الأمة في مسالة القيم الروحية والأخلاقية والسياسية في الخط الإسلامي الواقعي الذي لا ينطلق من فرضية كون القيمة الإسلامية حركة مثالية في المطلق، بل ينطلق من كون حركة واقعية في واقع المصلحة الإنسانية العليا في حدود الطبيعة المتوازنة، انطلاقاً من حركة المفهوم من النص، ومن السيرة الشريفة للنبي(صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام).

من خلال ذلك يمكن التأكيد على نقطة مهمّة في حركة العمل الإسلاميّ في واقع الأمّة، وهي دراسة الظروف الدقيقة التي تحكم الساحة العامة للواقع السياسيّ والاجتماعي والثقافي، للتعرّف على العناصر الحيّة التي تحكم إمكانات العمل ومراحله وأهدافه.

فقد تكون القضية هي أن ينطلق العاملون من أجل تعبئة الذهنيّة الإسلامية العامة بثقافة الرفض للحكم المنحرف الذي لا يملك الشرعية الإسلامية، سواء كان حكماً يتحرّك في مواقع الحكّام المسلمين، أو في مواقع غيرهم، وإيجاد القاعدة النفسيّة ضدّ الاستسلام له أو الانجذاب إليه، أو الارتباط به على نحو عضويّ، وتوجيه الفكر الحركيّ إلى الانطلاق مع القيادة الشرعيّة في مظاهرها ومواقعها المتنوّعة الهادفة إلى العمل، من أجل أن تكون هي البديلة عن القيادة اللاشرعيّة، وأن يكون الإسلام هو البديل عن النظام غير الإسلامي، ليبقى هاجس الانفتاح على مسألة الشرعية في القيادة والنظام، وفي وعي الأمة الإسلاميّة، كوسيلةٍ من وسائل الانفصال عن الانسجام مع شرعيّة الواقع، لأنَّ المسألة الثقافية إذا لم تنطلق في شمولية النظرة إلى تفاصيل الواقع في التخطيط لحركة المسألة السياسيّة، فسوف يتغيّر التصوّر العام للمسلمين لمصلحة الكفر والانحراف، انطلاقاً من الانفتاح على الأمر الواقع الذي ينفذ بفعل امتداد الزمن إلى الفكر والشعور والحركة العمليّة.

وقد تكون القضية المطروحة هي ألاَّ يكون خط التشيّع فيما هو التشيّع وجهة نظر في خطِّ الإسلام معزولة عن الواقع العام للمسلمين، فيبتعد أتباع أهل البيت(عليهم السلام) عن حركة المجتمع في الحالات التي يبتعد فيها الحكم الإسلاميّ الشرعيّ عن السيطرة على الحياة، بل ينبغي لهم أن يدرسوا موقعهم ومواقع المسلمين الآخرين في كلِّ الساحات المحلية والإقليميّة والدولية، بالطريقة التي تجعل لهم موقعاً فاعلاً في المجالات العامة الحيويّة في ما يحفظ لهم وجودهم وموقعهم وامتدادهم انطلاقاً من المصلحة الإسلامية العامة في ذلك، واستحياء لأسلوب الإمام الكاظم(ع) المتحرّك بمرونةٍ في النفوذ إلى مراكز القوّة في الدولة التي لا تتمتع بالشرعية لديه.

وقد تكون القضية المطروحة هي مواكبة الشرعية في الدائرة الإسلامية المتحرّكة باستقلالية معيّنة عن خطِّ القيادة العامة التي لا تملك الإمكانات العمليّة الحركية، أو لا ترى مصلحة لموقعها القياديّ بالتحرّك في هذا الاتجاه، ولكنها تحمل الرغبة في تغيير الواقع وفي العمل على اهتزازه وفي تحريك الناس ضدّه.

وربما كان الأئمة (عليهم السلام) لا يرون أيّة فرصة واقعيّة لتحقيق هذا الهدف الكبير، لأنَّ المسألة قد تحتاج إلى إعداد قاعدةٍ كبيرة ملتزمةٍ بالنهج الإسلاميّ في خطِّ أهل البيت(عليهم السلام)، مع القدرة على التحرّك

الفاعل من خلال الإمكانيات الخاصّة، ومن خلال الظروف الموضوعيّة التي تحيط بالواقع الإسلاميّ كلِّه.. ولم تكن هذه القاعدة متاحة بالحجم الكبير، ولم تكن الوسائل العمليّة بالمستوى الذي يمكّنها من الاقتراب نحو الهدف، لا سيما إذا عرفنا أنَّ أيّة حركة في مكانٍ ما، لا تستطيع أن تتواصل مع الحركة المساندة لها في موقع آخر، لفقدان وسائل الاتصال السريعة، مما يجعل للحركة موقعاً محدوداً خاضعاً لإمكانات الحصار المتعدّدة، إذا لم يُقدَّم لها الإعداد اللازم الطويل، الذي قد يكون الأساس فيه، إيمان الناس بإمامة أئمة أهل البيت(عليهم السلام) بالدرجة التي تحقّق الارتباط العمليَّ بهم من خلال الارتباط الإيماني بولايتهم.. ولم يكن ذلك متاحاً في الساحة الإسلاميّة العامة التي كانت تحمل التقدير والتعظيم لأئمة أهل البيت(عليهم السلام)، في ما تتمثّله فيهم من الدرجة العليا من الإيمان والعلم والعمل والمواقع الرفيعة في القرب من الله.. ولذلك، فإنَّ عملية الاستجابة للحركة الإماميّة لا تحمل كثيراً من الفرص الكبيرة، مما يجعل منها في كثير من الحالات حركة انتحاريّة في نطاق المرحلة من دون أن تحقّق أيّة نتيجةٍ على مستوى القضايا الكبيرة المطروحة في ساحة الأئمة(عليهم السلام) من التوعية الروحية والشرعية والسياسيّة ضدّ خطِّ الانحراف..

ولقد كان الأئمة(عليهم السلام) بعد مرحلة أمير المؤمنين والحسن والحسين(عليهم السلام)، يرون أنَّ الأسلوب العمليّ الذي ينسجم مع المرحلة المعاصرة لهم، هو أسلوب التوعية الروحية والثقافية والتعبئة السياسيّة المتحرّكة في خطِّ تكوين القاعدة الإسلامية الرافضة للانحراف في مستوى الواقع.. ولذلك، كان كلُّ جهدهم هو تكوين هذه القاعدة الشعبيّة المعارضة وحمايتها من أيِّ اهتزاز أو ضغط أو انفعال، وغير ذلك من الأوضاع التي تعرّضها للخطر.

وكانت التقيّة بأساليبها المتعدّدة الوسيلة الحركيّة المتنوّعة لحماية القاعدة ورعاية الخطّ، في المحاولة التي تتسامح فيها في التفاصيل للحفاظ على المبدأ، وتتغاضى فيها عن الفروع للمحافظة على الأصول في خطّة مدروسة لا تسمح بالانحراف أو بإيقاع الفساد في الدين.

الجانب السياسي:

اخترق النظام السياسي لهارون الرشيد على يد الأولياء للإمام موسى الكاظم (ع) وبعلم من الإمام وكان ذلك يحظى باهتمامه ورعايته ومباركته في التوصل إليه، حيث تمكن من الاستدراج في مناصب الدولة عن طريق والده الذي كانت له منزلة سامية عند الدولة العباسية أول أمرها حيث كان داعياً لهم[107]، فكان لعلي بن يقطين فوق تلك المنزلة أيام الخلفاء المهدي والهادي والرشيد حيث اتخذه الأخير وزيراً له وفي نفس الوقت كان الإمام يسدد خطاه حيث قال فيه: ((يا علي إن لله أولياء مع أولياء الظلمة يدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي))[108] ونستنتج من إبقاء الكاظم (ع) لعلي بن يقطين في وظيفته في السلطة العباسية ضرورة التوقر في اختيار بعض الشخصيات الموثوقة التي تملك الكفاءة والأمانة الدينية للدخول في مركز النفوذ الرسمي في الدولة الظالمة أو المنحرفة، وذلك من اجل المصالح الإسلامية على مستوى حماية الإسلام والمسلمين أو التيارات

الإسلامية الفعالة، لان وجودها في هذه المواقع يحفظ كثيراً من الأوضاع والمواقف ويحقق كثيراً من الايجابيات على أكثر من صعيد.واستطاع بفضل مباركة الإمام له أن ينجز الأعمال المطلوبة منه وان يستمر في عمله في الوقت الذي بقي فيه على عقيدته، بل وعلى دعمه للإمام مالياً وتزويده بالأخبار والمعلومات التي تنفعه وتنفع الشيعة في اتقاء مطاردة السلطات.

لكن بقي أن يحرز على الثقة المطلقة للبلاط، فلا يكفي أن يكون مرضياً عنه عند الإمام ليكون قادراً على انجاز مهماته، إذ أنها ترتبط بالحكومة و البلاط. وما لم يحز على الثقة المطلقة فانه لن يكون قادراً، فماذا يصنع لكي يحصل عليها. إن مثل هذه الشخصية عرضة للوشايات والسحابات سواء من قبل أعداء أهل البيت حيث لم يسكنوا وهم يرون من يتبع الأئمة ويواليهم يتولى أحد اخطر المناصب في الدولة[109].

وكذلك من قبل ذوي الطموح الشخصي والباحثين عن المال العاجل من السعاة والجواسيس. وهذا ما حدث لعلي بن يقطين وذلك ((إن الرشيد أهدى له ثياباً أكرمه بها وكان في جملتها دراعة********** خز سوداء من لباس الملوك مثقلة بالذهب فأنفذ علي تلك الثياب إلى الإمام موسى بن جعفر(ع) وأنفذ في جملتها تلك الدراعة وأضاف إليها مالاً كان عنده على رسم له فيما يحمله إليه من خمس ماله. فلما أرسل ذلك إلى أبي الحسن (ع) قبل المال والثياب ورد الدراعة بيد الرسول إلى علي بن يقطين وكتب إليه احتفظ بها ولا تخرجها عن ذلك فيكون لك بها شان تحتاج إليها معه فارتاب علي بن يقطين بردها عليه ولم يدري ماسبب ذلك واحتفظ بالدراعة فلما كان بعد أيام تغير علي بن يقطين على غلام كان يختص به فصرفه عن خدمته وكان الغلام يعرف ميل ابن يقطين إلى الإمام (ع) ويقف على ما يحمله إليه في كل وقت من مال وثياب وغير ذلك فسعى به إلى الرشيد فقال:((انه يقول بإمامة موسى بن جعفر ويحمل إليه خمس ماله في كل سنة وقد حمل إليه الدراعة التي أكرمه بها أمير المؤمنين في وقت كذا وكذا)) فاستشاط الرشيد لذلك وغضب غضباً شديداً وقال: لاكشفن عن هذه الحال فان كان الأمر كما تقول أزهقت نفسه. وأنفذ في نفس الوقت بإحضار علي فلما مثل بين يديه قال له:((ما فعلت بالدراعة التي كسوتك بها))، قال: ((هي يا أمير المؤمنين عندي في سفط مختوم فيه طيب قد احتفظت بها كلما أصبحت إلا وفتحت السفط ونظرت إليها تبركاً بها وقبلتها ورددتها إلى موضعها وكلما أمسيت فعلت ذلك))، فقال الرشيد: ((أحضرها الساعة))، قال: ((نعم يا أمير المؤمنين)) واستدعى بعض خدمه فقال له: ((امض إلى البيت الفلاني من داري فخذ مفتاحه من خزانتي وافتحه ثم افتح الصندوق الفلاني فجئني بالسفط الذي فيه ختمه فلم يلبث الغلام أن جاء بالسفط المختوم فوضع بين يدي الرشيد فأمر بكسر ختمه وفتحه، فلما فتح نظر إلى الدراعة فيه بحالها مطوية مدفونة في الطيب فسكت الرشيد من غضبه وقال لعلي: ((اردها إلى مكانها وانصرف الرشيد قائلاً فلن اصدق عليك بعدها ساعياً)). وأمر أن يتبع بجائزة سنية وتقدم بضرب الساعي ألف سوط فضرب نحو خمسمائة سوط فمات في ذلك))[110]. وخرج ابن يقطين من هذا الامتحان بفضل تسديد الإمام له وقد تجاوز الخطر، إلا إن السعاة لم يكونوا ليقفوا عند حدهم، ولم يكن الإمام (ع) ليغفل عن تسديد وليه وتابعه، فمما روي أيضاً ((أن اختلف المسلمون في مسح الرجلين أهو من الأصابع إلى الكعبين أم من الكعبين إلى الأصابع فكتب

بن يقطين إلى الإمام أبي الحسن موسى (ع) ((جعلت فداك إن أصحابنا قد اختلفوا في مسح الرجلين فان رأيت أن تكتب إليه بخطك ما يكون عملي بحسبه إنشاء الله)) فكتب إليه أبو الحسن(ع) ((فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء، الذي أمرك به ذلك تمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً وتغسل وجهك ثلاثاً وتخلل شعرك ولحيتك وتغسل يدك إلى المرفقين ثلاثاً وتمسح راسك كله وتمسح ظاهر أذنيك وباطنها وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً ولا تخالف ذلك إلى غيره))، فلما وصل الكتاب إلى علي بن يقطين تعجب مما رسم له فيه مما أجمع العصابة على خلافه ثم قال: ((مولاي أعلم بما قال وإنما أنا ممتثل أوامره)). فكان يعمل في وضوئه على هذا الحد ولا يخالف ما عليه جميع الشيعة امتثالاً لأمر أبي الحسن (ع) وسعى بعلي بن يقطين إلى الرشيد وقيل له أنه رافضي مخالف لك: فقال الرشيد لبعض خاصته: ((كثر عندي القول في علي بن يقطين والفرق له بخلافنا وميله إلى الرفض ولست أرى له في خدمتنا تقصيراً وقد امتحنته مراراً فما ظاهرت منه على ما يقذف به، وأحب أن أستبريء أمره من حيث لا يشعر بذلك فيتحرز مني))، فقيل له إن الرافضة يا أمير المؤمنين تخالف الجماعة في الوضوء فتخففه ولا ترى غسل الرجلين فامتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه فقال: ((أجل إن هذا الوجه يظهر به أمره)) ثم تركه مدة وأناطه بشيء من الشغل في الدار حتى دخل وقت الصلاة وكان علي بن يقطين يخلو في الحجرة في الدار لوضوئه وصلاته فلما دخل وقت الصلاة دخل الرشيد من وراء حائط الحجرة حيث يرى علي وهو لا يراه، فدعا بالماء للوضوء فتمضمض ثلاثاً واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه وخلل شعر لحيته وغسل يديه إلى المرفقين ثلاثاً ومسح رأسه وأذنيه وغسل رجليه والرشيد ينظر إليه فلما رآه قد فعل ذلك لم يملك نفسه حتى أشرف عليه بحيث يراه ثم ناداه: ((كذب يا علي بن يقطين من زعم انك من الرافضة)) وصلحت حاله عنده وورد عليه كتاب الإمام أبي الحسن (ع): ((ابتدئ من الآن يا علي بن يقطين فتوضأ كما أمر الله اغسل وجهك مرة فريضة وأخرى إسباغ واغسل يدك من المرفقين كذلك وامسح بمقدم راسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك فقد زال ما كان يخاف عليك والسلام))[111].

ونلاحظ في هذه الرواية عدّة أمور:

1 . إنَّ حركة التشيّع قد استطاعت أن تُدخل بعض أفرادها في عمق موقع الخلافة ليكون وزيراً للخليفة، مما يدلُّ على المرونة الواسعة في إمكانات الوصول إلى المواقع المميّزة في السلطة.

2 . إنَّ الشيعة كانوا يعملون للامتداد في مراكز السلطة الكبرى، بحيث أنّهم يستفيدون من أيّة حالةٍ تعاطف مع الخطِّ ألإمامي، ليؤكّدوا العمل على الارتباط بالإمام في عملية تثقيف وتوعية وانتماء، وهذا ما لاحظناه في مسالة الوضوء، وموقع الإمام الكاظم(ع) في مسألة الإمامة.

3 . كانوا يعملون على الإيقاع به خوفاً من السلطة التي قد يحصل عليها في المستقبل من خلال علاقته بهارون الرشيد، وذلك من خلال نسبة التشيّع إليه، وعلاقته بموسى بن جعفر(ع) الذي كان الرشيد يخاف من موقعه الكبير في الأمّة فيما يعتقده فيه الشيعة من شرعية إمامته وتقديمهم حقوقهم الشرعيّة إليه، مما يُوحي بأنَّ المسألة

تمثّل درجة كبيرةً من الخطورة، بحيث أنَّ علياً كان يعتقد بأنَّ اقتناع الرشيد بذلك يكفي في قتله، فاستعدّ لذلك عند إرسال الرشيد خلفه. ونلاحظ أنَّ هذا الرجل كان واعياً لموقفه وموقعه، بعد أن عرف نوايا خصومه ضدّه، مما جعله يحتاط للمسألة في الأمور التي يمكن أن ينفذ منها الشكّ إليه، وهذا هو الذي جعله ينطلق أمام الرشيد في موقع القوّة في الموقف بعد ظهور كذب خصومه في قولهم، فطلب من الرشيد أن يمنحه الثقة المطلقة في المستقبل.

ويمكن القول إن موقف الإمام كان عبارة عن نصيحة وتحذيراً على نحو غير مباشر من النتائج السلبيّة في ما يمكن أن ينتهي إليه موقفه من نتائج وخيمة.. وقد يكون في الطريقة التي عالج بها الإمام ذلك، لون من ألوان الاحتياط لأنَّ مثل هذه الأمور قد توحي للخليفة بأنَّ الإمام يقف وراءها، كونه يمثّل الشخص الوحيد المؤهّل للخلافة عندما تبتعد عن بني العبّاس إلى أهل البيت من وُلْد عليّ(ع).

وقد نجد في هذا أسلوباً في العمل السياسيّ الأمنيّ عندما تمسّ الحاجة إلى إبعاد الأجهزة المخابراتيه المرتبطة بالجاسوسيّة الدوليّة أو الإقليميّة أو المحليّة عن مواقع الحركة الإسلامية، وتوجيهها إلى وجهة أخرى بعيدة عن مواجهة الموقع القيادي على نحو مباشر.

ومما يثير الاستغراب إن علياً لم يتعرض للوشايات في حقه من قبل أعدائه فحسب بل ومن أشخاص يعدّون على ولاء أهل البيت، ومحور الوشايات إن علياً يقول بإمامة موسى بن جعفر ويرسل إليه بخمس ماله ويدين بأوامره، بينما محور التهمة كان في الاتجاه المخالف أي انه ربما يكون مع العباسيين وان ذلك يخل بموقعه من جهة أهل البيت (عليهم السلام).

وعلى ما يبدو إن هذه التهمة إن دلت على شيء إنما تدل على مدى حراجة موقف ابن يقطين فهو في الوقت الذي يقوم بخدمة الدين إلى أبعد حدوده يتعرض لهذه التهم كمقابل لها، فقد ذكر أن رجلاً من خواص الشيعة يأتي إلى الإمام الكاظم (ع) قائلاً: ((يا ابن رسول الله ما أخوفني أن يكون علي بن يقطين ينافقك في إظهار وصيتك وإمامتك، فسأله الإمام: وكيف ذاك؟ قال: لأني حضرت معه اليوم في مجلس أحد الشيوخ فقال له صاحب المجلس: أنت تزعم أن موسى بن جعفر إمام دون هذا الخليفة القاعد على سريره؟ فقال له صاحبك هذا: ما أقول هذا بل زعم إن موسى ابن جعفر غير إمام، وان لم أكن اعتقد انه غير إمام فعلي وعلى من لم يعتقد ذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))، قال صاحب المجلس: جزاك الله خيراً ولعن من وشى بك)) فقال له موسى بن جعفر (ع): ((ليس كما ظننت ولكن صاحبك افقه منك، وإنما قال: موسى غير إمام، أي انه الذي غير إمام فموسى غيره، فهو إذن إمام فإنما اثبت بقوله هذا إمامتي ونفى إمامة غيري، يا عبد الله متى يزول عنك هذا الذي ظننته بأخيك؟ هذا من النفاق تب إلى الله))[112].

سرية المعلومات:

امتازت العلاقة بين الإمام وعلي بن يقطين بدرجة عالية من الكتمان والسرية خوفاً من انقضاض الدولة العباسية على العنصر الشيعي ومن ذلك ما روي من ((أن علي بن يقطين بعث إلى جماعة من الشيعة أموال وكتب إلى الإمام الكاظم (ع) فقال: اشتريا راحلتين وتجنبا الطريق حتى توصلا ما معكما من المال والكتب إلى أبي الحسن موسى (ع) ولا يعلم بكما احد، قالا: فأتينا الكوفة فاشترينا راحلتين وتزودنا زاداً وخرجنا نتجنب الطريق، حتى إذا صرنا بطن الرمة شددنا راحلتنا ووضعنا لها العلف وقعدنا نأكل، فبينا نحن كذلك إذا راكب قد اقبل ومعه شاكري، فلما قرب منا فإذا هو أبو الحسن (ع) فقمنا إليه وسلمنا عليه، ودفعنا إليه الكتب وما كان معنا، فاخرج من كمه كتباً فناولنا إياها، فقال: هذه جوابات كتبكم، فقلنا: إن زادنا قد فنا، فلو أذنت لنا فدخلنا المدينة فزرنا رسول الله (ص) وتزودنا بزاد، فقال: هاتا ما معكما من الزاد، فأخرجنا الزاد فقلبه بيده، فقال: هذا يبلغكما إلى الكوفة، أما رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقد (رأيتماه)، انصرفا في حفظ الله))[113].

ويبدو أن مسالة الكتمان من الأمور الأساسية التي يجب أن لا تمنح إلى أي شخص وان وجدت صلة قربى فعن ((علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي عن بعض مشايخه وذلك في حجة حجَّ الرشيد قبل هذه الحجّة، قال: ((لقيني علي بن إسماعيل ابن جعفر بن محمد، فقال لي: مالك قد أخملت نفسك، مالك لا تدبّر أمر الوزير؟ فقد أرسل إليّ فعادلته وطلبت الحوائج إليه.

وكان سبب ذلك، أنَّ يحيى بن خالد قال ليحيى بن أبي مريم: ألا تدلّني على رجلٍ من آل أبي طالب له رغبته في الدنيا فأوسّع له منها، قال: بلى، أدلّك على رجلٍ بهذه الصفة، وهو عليّ بن إسماعيل بن جعفر بن محمّد، فأرسل إليه يحيى فقال: أخبرني عن عمّك وعن شيعته والمال الذي يُحمل إليه، فقال له: عندي الخبر، فسعى بعمّه، فكان في سعايته أن قال: إنَّ من كثرة المال عنده أنَّه اشترى ضيعة تسمّى البشرية بثلاثين ألف دينار، فلما أحضر المال، قال البائع: لا أريد هذا النقد، أريد نقداً كذا وكذا، فأمر بها فصبّت في بيت ماله، وأخرج ثلاثين ألف دينار من ذلك النقد ووزنه في ثمن الضيعة.. قال أبي: وكان موسى بن جعفر(ع) يأمر لعليّ بن إسماعيل بالمال ويثق به، حتى ربَّما خرج الكتاب منه إلى بعض شيعته بخطِّ عليٍّ بن إسماعيل، ثم استوحش منه، فلما أراد الرشيد الرحلة إلى العراق، بلغ موسى بن جعفر أنَّ ابن أخيه يريد الخروج مع السلطان إلى العراق، فأرسل إليه: مالك والخروج مع السلطان؟ قال: لأنَّ عليَّ ديناً، فقال: دينك عليَّ، قال: وتدبير عيالي؟ قال: أنا أكفيهم، فأبى إلاّ الخروج، فأرسل إليه مع أخيه محمد بن جعفر بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم، فقال: اجعل هذا في جهازك ولا توتم ولدي))[114].

وعن ((عليّ بن إبراهيم عن اليقطيني عن موسى بن القاسم البجلي عن عليّ بن جعفر قال: ((جاءني محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، وذكر لي أنَّ محمد بن جعفر دخل على هارون الرشيد، فسلّم عليه بالخلافة، ثم قال له: ما ظننتُ أنَّ في الأرض خليفتين حتى رأيت أخي موسى بن جعفر يُسلَّم عليه بالخلافة))[115].

ونلاحظ في هذه النصوص أموراً:

1 . إنَّ مواقع النفوذ العليا في سلطة الخلافة كانت تبحث عن العناصر القلقة في محيط الإمام الكاظم(ع)، لتوظّفها في سبيل إيصال المعلومات المخيفة للرشيد التي تؤكّد له خطورة موقع الإمام الكاظم(ع) منافساً خطيراً له في الخلافة، وقد استطاع الحصول على شخص عليّ بن إسماعيل بن جعفر (الصادق)، وهو ابن أخ الإمام الكاظم(ع) الذي كان يعيش عقدة داخليّة كبيرة، بحيث لم ينفع إحسان الإمام إليه وتقريبه إلى خصوصيّاته ومواقع المسؤولية لديه، وَوَعْدُه إيّاه بكلِّ خير، ثم كان الشخص الآخر أخاه محمد بن جعفر (الصادق)، الذي فاجأ الرشيد بأنَّ الإمام الكاظم(ع) يتصرّف مع شيعته كما يتصرّف الخليفة مع أتباعه، أو كما يتصرّفون معه.

وقد نلاحظ أنَّ الرواية الأولى قد تحدّثت عن موقع الثقة التي يُوليها الإمام الكاظم(ع) لأخيه محمد بن جعفر، حتى أنَّه كان يجعله وسيطاً لإقناع عليّ بن إسماعيل بن جعفر بالعدول عن موقفه، فنتساءل عن مدى دقّة الرواية الثانية في صحتها، ولكنها على أيِّ حال تعطي فكرة عن النظرة التي كانت تسود الذهنيّة التاريخيّة حول الموضوع.

2 . إذا صحّت هاتان الروايتان أو إحداهما، فقد نستوحي منهما الفكرة القائلة بأنَّ البيت العظيم الشريف لا يمنح صاحبه مناعةً من الانحراف، ولا يعطيه امتيازاً قدسيّاً في نفوس النّاس، حيث لاحظنا كيف تصرّف هذان الشخصان أو أحدهما ضدّ الإمام الكاظم(ع) على الرغم من كلِّ رعايته لهما.

وقد نستفيد من ذلك أنَّ على القياديين الإسلاميّين ألاَّ يستسلموا لأقربائهم في منحهم الثقة المطلقة وإطلاعهم على أسرارهم، فقد يكون من بين هؤلاء من يرتبطون بالمخابرات الاستكباريّة الكافرة، أو بالأجهزة الظالمة، بحيث ينقلون إليهم كلَّ المعلومات والأسرار التي تهدِّد القيادة في سلامتها، والعملَ في حركته.

موافقة الإمام المشروطة:

قبل علي بن يقطين وزارة هارون بعد موافقة الإمام (ع) وقد طلب فيما بعد الاستقالة عدة مرات إلا إن الإمام كان يروعه من ذلك كون علي كان يمثل مركز قوة في الخلافة، وكان الإمام الكاظم (ع) يرى فيه ضمانة كبيرة لدفع الظلم عن أولياء الله، وعن حماية أموالهم وأنفسهم، مما يجعل وجوده ضرورياً على مستوى حماية الحركة الإسلامية الامامية في إتباعها ومواقعها، ولذلك لم يرضَ الإمام له بالاستقالة، بل فرض عليه البقاء بالشروط الشرعية التي تتمثل في السير على هذا الخط، وقد قال الإمام (ع) له يوماً: ((اضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثاً، فقال علي: وما هن؟ قال الإمام (ع): الثلاث اللواتي اضمنهن لك أن لا يصيبك حر الحديد أبداً بقتل ولا فاقه ولا سجن ولا حبس، وإما ما تضمنه هو أن لا يأتيك ولي أبداً إلا أكرمته))[116]، فقبل علي ذلك وضمن الإمام الثلاث له.

ودلّت هذه المقولة على جواز الولاية من قبل الجائر أن أسدى معروفاً أو دفع غائلة عن المؤمنين فانه يباح له ذلك[117]، وورد عن الإمام قوله: ((فان لنا بك أنساً ولإخوانك بك عزاً وعسى أن يجبر الله بك كسراً، ويكسر بك المخالفين عن أوليائه))[118].

وكانت مواقف الإمام (ع) الصارمة التي التزمها وألزم بها أصحابه وندّد على المخالفين لمضمونها.. تهدف إلى إضعاف الروابط العملية بين السلطان والرعيّة، وبذلك يفقد السلطان مؤهّلات إقامة دولته وتركيز بناء حكمه، ويهيّئ الأرضية لإنهاء تماسك أجهزة الحكم وشلّ حركتها من الداخل، وهو أمضى سلاح يواجهه الحاكم الظالم، فحين تمتنع الطاقات عن عطائها للحكم وتكفّ الجماعة يدها عن العمل له وحماية مكاسبه، تتقلّص قدرته ويتداعى بناء أجهزته الظالمة.

فمقاطعة الحكم التي اعتمدها الإمام (ع) ضدّ الحكم، كانت ثورة عملية ضدّ النظام ذات أبعاد عميقة، وكان نجاحها يتوقّف على نسبة الدعم الذي تقوم به الأُمّة في مواقفها العملية ضدّ الحكم القائم وفق المخطّط المرسوم لها من قِبَل الإمام عليه السّلام. غير أنّ افتقاد الأُمّة لمقوّمات الطاعة التامّة للإمام، وركونها إلى الحكّام الظَلَمة لأجل مصالحها الذاتية، فوّت الفرصة عليها وأبطل فاعلية الخطّة التي كانت في مصلحتها، ممّا تسبّب في تقليص آثارها.والإمام إنما أراد أنّ يقدّم للأُمّة الأطروحة العملية في مواجهة الظلم ومقاومة نفوذه بما يتّفق وظروف تلك المرحلة، وبما ينسجم مع مسؤولياته الرسالية في النصح للأُمّة وتسديدها عند اشتباه الحقّ والتباس معالم الهدى والصلاح، وكان على الأُمّة بعد هذا أن تختار لنفسها المصير الذي تشاء: فإمّا الاستجابة والعمل وبذلك تنتصر لرسالتها وحقّها في الحياة الكريمة، وإمّا الرضا والخنوع للواقع المعاش، وبذلك تكون قد فرضت على نفسها أن تعيش تحت ظلّ القمع والظلم والإرهاب بعيداً عن رسالتها.

وعلى كلٍ وفى علي بن يقطين بعهده طوال مدة تصدره لهذا المنصب وأدى دوراً كبيراً في تلك الفترة العسيرة لتقديم الظروف المناسبة للحفاظ على حياة الشيعة واستقلالهم.

وزارة علي بن يقطين مظلة وقائية للشيعة:

كانت الانتفاضات المسلحة المتوالية التي يقوم بها العلويون والهاشميون أبان عهد المنصور وهارون تبنى بالفشل دائماً، وثبت فعلاً إن أي تحرك حاد ومسلح في تلك الظروف فان مصيره الفشل، فينبغي بدء النضال والجهاد على صعيد آخر، ولذلك غض النظر الإمام السابع عن القيام بتحركات شديدة وحادة لتربية الشخصيات وتنوير الأفكار، وكشف حقيقة الحكم العباسي الخبيث ونشر الثقافة الشيعية على نطاق أوسع في المجتمع.

وتنفيذاً لهذا المنهاج لم يكن الإمام ليخالف أن يتقلد رجال الشيعة الصالحون والمؤهلون المناصب الهامة والحساسة على الرغم من خطره العام من التعاون مع تلك السلطة الجائرة، لان ذلك يجعلهم ينفذون في الجهاز الحاكم من ناحية، ومن ناحية أخرى انضواء الناس والشيعة خاصة تحت مظلتهم الوقائية.

وكان نفوذ علي بن يقطين في جهاز هارون الحاكم جزءاً من هذا المخطط أيضاً بالإضافة إلا انه من الشيعة الواعين الثابتة أقدامهم ورؤيته رؤية شيعية صادقة، وعلى العكس من أبيه الذي كان من أنصار العباسين والذين لا يعتقدون بالإمامة، أي قيادة الأمة من وجهة نظر الشيعة لدرجة أن موضوع الانتظار[119] – أي الأصل بظهور دولة الحق والعدل الذي يستلزم نفي مشروعية الحكومة الجائرة الموجودة – ألّف محور تفكيره.

واتضح ذلك من الحوارات التي دارت يوما بينه وبين أبيه على نحو جيد، فقد قال يقطين لابنه يوماً: ((كيف تحقق ما تنبأ به أئمتكم حولنا – أي بني العباس – ولكن لم يتحقق ما قيل وتنبأ به عنكم – أي ظهور القائم)) فأجاب علي: ((ما قيل عنكم وعنا من موضع واحد، ولكن سلطانكم في هذا الزمان، فقد أخبر عنكم بوضوح وقد تحقق ذلك، ولان دولتنا لم يحن موعدها بعد، لذلك نأمل ونتمنى أن تتحقق، ولو كان أئمتنا يقولون إن دولة أهل البيت ستظهر بعد مائتين أو ثلاثة مائة عام لربما، وبسبب طول المدة ضاقت القلوب وقلَّ إيمان الناس بها ولأجل إن يبقى أمل الناس قال أئمتنا بدون توقيت لها ستظهر عاجلاً ليمنحوا الناس الأمل ويقربوا موعد ظهور الإمام))[120].

وعلى ما يبدو من كلام علي وأبيه من مخرج واحد بأن كلا المقولتين صحيحتان، لكن الاختلاف في التوقيت ليس إلا، وهذا الجواب متين أخذه علي بن يقطين عن موسى بن جعفر(ع)، فقد روي عن علي بن يقطين أنه قال: ((قلت لأبي الحسن (ع): ما بال ما روي فيكم من الملاحم ليس كما روي؟ وما روي في أعاديكم قد صح؟ فقال (ع): إن الذي خرج من أعدائنا كان من الحق فكان كما قيل، وانتم عللتم بالأماني فخرج إليكم كما خرج))[121].

تقوية بنية الشيعة الاقتصادية:

لا شك إن كل حركة و مجموعة لها هدف مشترك تحتاج لتنظيم قواتها إلى مصادر مالية تحقيقاً لتلك الأهداف حيث تصاب جميع فعالياتها ونشاطاتها بالشلل عند انقطاع الدعم المالي عنها، فكانت الشيعة ووفقاً لهذا المبدأ العام تحتاج دائماً إلى دعم مالي لاستمرارية وتحقيق أهدافها المقدمة غير إن رموزها المناضلة كانت وفي مختلف مراحل التاريخ تعاني من الضغط الاقتصادي وكثيراً ما كانت الحكومات ولأجل القضاء عليهم تمارس ذلك الضغط ومن خلال طرق متعددة.

وفي هذا المجال توجد مضافاً إلى سلب فدك من فاطمة الزهراء(ع) الذي كان بدافع سياسي[122] ولأجل زعزعة موقف أمير المؤمنين وبني هاشم الاقتصادي نماذج كثيرة في التاريخ ومنها سياسة معاوية إزاء الشيعة لاسيما بني هاشم، ومن الأساليب التي تمسك بها معاوية لأخذ البيعة من الحسين بن علي(عليهما السلام) لولاية عهد ابنه هو امتناعه من دفع العطاء إلى بني هاشم من بيت المال خلال سفره إلى المدينة حتى يضغط عليه من خلال ذلك ويجبره على البيعة[123].

والنموذج الآخر هو الحظر الاقتصادي الذي فرضه أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني، فقد طبق سياسة التجويع وإفقار الرعية على نطاق واسع، وكان دافعه من وراء ذلك هو أن يجعل الناس جياعاً، وفي فاقه وحاجه إليه، وان يكون شغلهم الشاغل هو ملءُ بطونهم حتى لا يبقى لديهم مجال للتفكير في القضايا الاجتماعية الكبرى.

وقد بين ذات يوم وبحضور خاصة من رجال البلاط وبلهجة مشينة دافعه من تجويع الناس وقال: ((صدق الأعرابي حيث يقول: أجع كلبك يتبعك))[124].

وكان نصيب الشيعة العلويين من سياسة الضيق والحظر الاقتصادي أكثر من غيرهم، لأنهم كانوا دائماً على رأس المخالفين والمناضلين للخلفاء الظالمين.

فقد ذكر انه ((في عهد المهدي ورد أبو الحسن موسى (ع) على المهدي العباسي فرآه يردّ المظالم، فقال: يا أمير المؤمنين !ما بال مظلمتنا لا تُردّ ؟ فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن ؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا فتح على نبيّه (صلّى الله عليه وآله) فدكَ وما والاها، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل الله على نبيه(صلّى الله عليه وآله ((وَآتِ ذا القُرْبى حَقَّه)) [125] فلم يدرِ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مَن هم، فراجع في ذلك جبرائيل وراجع جبرائيل ربّه، فأوحى الله إليه: أن ادفع فدك إلى فاطمة (عليها السّلام).

فدعاها رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقال لها: يا فاطمة! إنّ الله أمرني أن أدفع إليكِ فدك. فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك. فلم يزل وكلاؤها فيها حياةَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله). فلمّا وليَ أبو بكر أخرج عنها وكلاءها، فأتته فسألته أن يردّها عليها. فقال لها: ائتيني بأسود أو أحمر يشهد بذلك.فجاءت بأمير المؤمنين علي (ع) وأُمّ أيمن، فشهدا لها، فكتب لها بترك التعرّض، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر بن الخطّاب، فقال: ما هذا معك يا بنت محمد ؟ قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة. قال: أرِينِيه. فأبت، فانتزعه من يدها ونظر فيه، ثمّ تفل فيه ومحاه وخرّقه .

فقال لها: هذا لم يُوجِف عليه أبوكِ بخيلٍ ولا ركاب، فضعي الحبال في رقابنا.

فقال المهدي العباسي :يا أبا الحسن! حُدَّها لي. فقال: حدٌّ منها جبل أُحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل.فقال له: كلّ هذا ؟! قال: نعم، يا أمير المؤمنين، هذا كلّه، إنّ هذا كلّه ممّا لم يوجف أهله على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بخيلٍ ولا ركاب. فقال: كثيرٌ، وأنظرُ فيه))[126].

وعلى كلٍ لم تكن خلافة هارون مستثناة من هذه الخطة العامة أيضاً، ولأنه بعد أن استولى على بيت المال وصرفها على ملذاته ولهوه ورغباته هو ومن حوله، راح يمنع الشيعة من حقوقهم المشروعة ليضعفهم من خلال ذلك.

وكسب علي بن يقطين صاحب الإمام المخلص الوفي ثقة هارون على الرغم من سعاة أعداء الشيعة به لديه وتسلم وزارة العالم الإسلامي الكبير ويعرف خطورة هذا الأمر وأهميته فلم يأل جهداً في توظيف جميع الإمكانيات لأجل دعم الشيعة وحمايتهم خاصة دعمهم مالياً وإيصال خمس ماله الذي كان مبلغاً ضخماً ويبلغ المائة والثلاثمائة ألف درهم أحيانا إلى الإمام الكاظم ونحن نعلم أن الخمس دعامة مالية للحكومة الإسلامية وقد قال ابن علي بن يقطين ذات يوم: ((كان أبو الحسن إذا أراد شيئاً من الحوائج لنفسه أو مما يعني من أموره كتب إلى أبي اشتر لي كذا وكذا واتخذ لي كذا وكذا وليقول ذلك هشام بن الحكم – أحد كبار صحابة الإمام (ع) – ولم يذكر هشاماً إلا فيما يعني به من أموره))[127].

ولما قدم موسى بن جعفر (ع) إلى العراق قال علي بن يقطين: ((أما ترى حالي وما أنا فيه، فقال (ع): يا علي إن لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي))[128].

وقد سال علي بن يقطين الإمام مرة أخرى وقال: ((ما تقول في أعمال هؤلاء؟ قال (ع): إن كنت لابد فاعلاً فاتق أموال الشيعة))[129]، فأطاع علي الإمام وكان يجيبها من الشيعة علانيةً ويردها عليهم في السر، وسبب ذلك هو إن حكم هارون لم يكن حكماً إسلاميا يجب امتثال قوانينهما على المسلمين فقد كانت الولاية والخلافة الفعلية لموسى بن جعفر (ع) لذلك كان ابن يقطين يعيد الأموال إلى الشيعة[130].

صحيح إن هارون كان يمتلك السلطة والقوة في الظاهر غير أن سلطته كانت على الأبدان فقط، ولم يكن له مكان في قلوب الناس، وأمّا سلطة القلوب والسيطرة عليها فقد كانت من نصيب الإمام السابع وفي ضوء شعبيته الواسعة ومكانته في الرأي العام كان المجاهدون والمتنوّرون من المسلمين يبعثون بخمس أموالهم والأموال الأُخرى التي تتعلّق ببيت المال إلى الإمام، ولم يكن ذلك خافياً على هارون، لأنّه ومن خلال تقارير جواسيسه كان يعرف بأنّ الأموال والحقوق الشرعية تصل الإمام من أقطار العالم الإسلامي الكبيرة لدرجة انّه شكل صندوقاً لبيت المال[131].

أهداف تشكيل الحكومة الإسلامية

كان هارون يعلم بأنّ موسى بن جعفر (ع) وأتباعه يرونه غاصباً لخلافة الرسول، وحاكماً ظالماً مسك مصير المسلمين بيده قسراً وبالقوة، وأنهم لو تجهّزوا من الناحية العسكرية يوماً لما كانوا ينتظرون لحظة واحدة في القضاء على حكمه .

ويكشف الحوار الآتي الذي دار بين الإمام السابع وهارون عن أهداف الإمام جيداً فيما يتعلّق بتشكيل الحكومة الإسلامية وعن نوايا هارون الخبيثة . فقد أعلن هارون . ولعلّه بدافع الاختبار ولمعرفة أهداف الإمام . للإمام بأنّه على استعداد لأن يرد إليه فدك .

((فقال الإمام: ما آخذها إلاّ بحدودها

فقال هارون: وما حدودها؟

قال الإمام: إن حددتها لم تردها

قال هارون:بحق جدّك إلا فعلت .

فقال الإمام: أمّا الحدّ الأوّل فعدن، والحدّ الثاني سمرقند، والحدّ الثالث أفريقيا، والرابع سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية .

إن هارون الذي تغيّر وجهه بسماع كلّ واحد من هذه الحدود وغضب غضباً شديداً فقد بعد استماع الحدود الأربعة صوابه وقال وقد علاه الحزن والغضب: فلم يبق لنا شيء .

قال الإمام : قد أعلمتك أنني إن حددتها لم تردها لذا امتنعت[132]. أراد بهذا الجواب أن يقول لهارون إن فدك رمز لمجموع حدود الحكومة الإسلامية، وانّ عمل أصحاب السقيفة بسلبهم فدك من بنت الرسول وصهره هو في الواقع مظهر من مظاهر مصادرة حقّ سيادة أهل بيت العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) أجمعين، وعليه إذا كان من المقرر أن ترد حقنا إلينا فعليك أن تضع جميع حدود الحكومة الإسلامية في قبضتنا .عبّر هذا الحوار عن أهداف الإمام الكبيرة بشكل جيد .

وفاته:

انتقل علي بن يقطين إلى رحمة الله تعالى سنة 182هـ في بغداد، وله من العمر ثمان وخمسون سنة، وصلى عليه ولي عهد الرشيد في الوقت الذي كان الإمام ما يزال في السجن [133].

الهوامش:

[1] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت 711هـ)، لسان العرب، ط. بيروت، (بلا. ت)، 33/5.

[2] سورة محمد/ آية (4).

[3] الرازي، محمد بن أبي بكر(ت 666هـ)، مختار الصحاح، ط. الكويت، 1983، ص ص 718 – 719.

[4] سورة القيامة/ آية (11).

[5] الطرطوشي، أبي بكر محمد بن محمد الفهري المالكي (ت 520هـ)، سراج الملوك، ط. بولاق(مصر) ، 1289هـ، ص69.

[6] الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي(ت 450هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ضبطه وصححه: احمد عبد السلام، ط3، بيروت، 2006،ص28.

[7] سورة طه/ آية (29).

[8] أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط5، القاهرة، 1952، 176/1.

[9] ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، المقدمة، ط. القاهرة، 1966، ص203.

[10] ينظر:المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين(ت346هـ)، التنبيه والإشراف، راجعه وعني بتصحيحه: عبد الله إسماعيل الصاوي، ط. القاهرة، 1938، 5 ص[294].

[11] ابن خلدون، المقدمة، ص[203].

[12] برانق، محمد أحمد، الوزراء العباسيون، منشورات لجنة البيان العربية، المطبعة النموذجية (القاهرة)، 1948، ص[33].

[13] اليوزيكي، توفيق سلطان ، الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية بين 132 – 447هـ، ط1، مطبعة الإرشاد (بغداد)، 1970،ص [21].

[14] ابن خلدون، المقدمة، ص[422].

[15] المصدر نفسه، ص[422].

[16] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد،(القاهرة)، 1948، 163/1.

[17] ينظر: الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبد (ت331هـ)، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون،ط1، مطبعة مصطفى الحلبي (القاهرة)، 1938،ص[150].

[18] المصدر نفسه، ص ص[150 – 151].

[19] ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 163/1.

[20] ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ)الفخري في الآداب السلطانية، ط1، بيروت، 1966، ص [156].

[21] المصدر نفسه، ص[156].

[22] الطبري، محمد بن جرير (ت 320هـ)، تاريخ الرسل والملوك، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء، ط. القاهرة، 1879، 301/6.

[23] ينظر: ابن الطقطقي، الأحكام السلطانية، ص[166].

[24] ينظر الطبري، تاريخ الرسل، 679/3 – 680.

*يحيى البرمكي: هو أبو الفضل الوزير السري الجواد، سيد بني برمك و أفضلهم وهو مؤدب الرشيد ومعلمه ومدربه، اشتهر بجوده وحسن سيرته وسياسته، استمر إلى أن نكب الرشيد بالبرامكة فقبض عليه وسجنه في الرقة إلى أن مات فقال الرشيد: ((مات أعقل الناس وأكملهم)). ابن الأثير، أبو الفدى إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت774هـ)، البداية والنهاية، ط. القاهرة، (بلا. ت)، 204/10.

**يحيى بن عبد الله العلوي: هو يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، من كبار الطالبين في أيام موسى الهادي وهارون الرشيد العباسيين، رباه الإمام جعفر الصادق (ع) في المدينة فروى الحديث ونفقه وشارك ابن عمه (الحسين بن علي) في ثورته بالمدينة واستيلاءه عليها ايام موسى الهادي وحضر مقتله في معركة (فخ) ونجا فدعى إلى نفسه وبايعه الكثيرون مما اضطر الرشيد إلى طلبه وأعطاءه الأمان فترة ثم حبسه حتى مات من الجوع والعطش في حبسه سنة 180 هـ، الزركلي، خير الدين (ت1396هـ)، الأعلام، قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب و المسغربيين والمستشرقين،ط3، بيروت، 1982.

[25] الجهشياري، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون،ص ص[189 – 190].

[26] ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، العبر وديون المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط.بيروت، (بلا.ت)، 222/3.

[27] الطبري، تاريخ الرسل، 485/6.

[28] النجاشي، أحمد بن علي بن العباس(ت 450هـ)،رجال النجاشي، ط. مصطفوي (إيران)، 1317هـ ، ص [209].

[29] المصدر نفسه، ص [209].

[30] الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت 460هـ)، الفهرست،ط. النجف، 1937، ص[90].

[31] ينظر المجلسي، محمد بن باقر(ت1111هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: تحقيق دار أحياء التراث العربي، (بيروت)، 1395، 136/48.

[32] الطوسي، الفهرست، ص[90].

[33] المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال، ط. النجف، (بلا. ت)، 310/2.

[34] الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت 460هـ)، رجال الطوسي، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد صادق آل بحر العلوم ط1. طهران،1381 هـ، ص[354].

[35] الكشي، أبي عمر ومحمد بن عمر بن عبد العزيز(ت340هـ)، رجال الكشي، قدم له وعلق عليه ووضع فهارسه: احمد الحسيني،ط.مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (كربلاء)، (بلا. ت)،ص[365]. النجاشي ،رجال النجاشي،ص[209]. الأسدي، أبو منصور الحسن بن يوسف(726هـ)خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق: جواد الفيومي،ط2، مطبعة باقري(إيران)،1422 ، ص[147].

[36] الكشي، الرجال ، ص [209].

[37] الحلي، تقي الدين الحسن بن علي، كتاب الرجال، ط. طهران ، 1383هـ ، ص[253].

[38] الكشي، رجال الكشي، ص365.

[39] القهيائي، محمد بن قاسم بن الأمير الحسني ، مجمع الرجال، تصحيح وتعليق: ضياء الدين الأصفهاني، ط. أصفهان، 1384هـ ، 241/3.

[40] ينظر: النجاشي، رجال النجاشي ، ص[209].

[41] الكشي، رجال الكشي، ص[368].

***هو عبد الله بن يحيى الكاهلي، أحد كبار الصحابة، حظي باهتمام خاص من قبل الإمام الكاظم (ع) حتى كان يوصي به علي بن يقطين كما قال له يوماً "اضمن لي الكاهلي وعياله أضمن لك الجنة". الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص[402].

[42] المصدر نفسه، ص[368].

[43] الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، ط. بيروت، 1998، ص[25].

[44] المصدر نفسه، ص[26].

[45] النجاشي، رجال النجاشي، ص[209].

[46] الطوسي، أبي جعفر بن الحسن (ت460هـ)، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تحقيق: حسن مصطفوي، ط. أصفهان، (بلا.ت)، ص[448].

[47] المامقاني ، تنقيح المقال، 317/2.

**** عبد الرحمن بن الحجاج: أحد أصحاب الإمامين الصادق والكاظم (عليهما السلام) كان ثقة، وقد قال له الإمام الصادق (ع)، ((يا عبد الرحمن كلم أهل لمدينة فاني أحب أن يرى في رجال الشيعة مثلك))، وقد كان يحظى باهتمام خاص من قبل الإمام الكاظم(ع) حتى أنه كان يوصي به علي بن يقطين، ، فكان علي (رحمه الله) يجري عليهم الطعام والدراهم وجميع النفقات حتى ماتا. النجاشي، رجال النجاشي، ص[65].

[48] الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص[435].

[49] القرشي، باقر شريف، حياة الإمام موسى الكاظم (ع) ،ط. النجف، 1960، 223/2.

[50] الكشي، رجال الكشي، ، ص[367]. النجاشي، رجال النجاشي، ص[209]. الطوسي، الفهرست، ص[90].

[51] ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، 36/48، ولمزيد من التفاصيل ولمزيد من التفاصيل ينظر: التشيري، محمد تقي، قاموس الرجال، ط.قم، 1384هـ ،86/7.

[52] الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ص [448 - 449].

[53] المامقاني، تنقيح المقال، 315/2.

[54] ينظر: الطباطبائي، محمد مهدي بحر العلوم (ت1212هـ)، رجال السيد بحر العلوم ، تحقيق وتعليق: محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، ط1، النجف، 1966، ص[96]. الخوئي، أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، (بلا.ط)، 1992، ص[249].

[55] لمزيد من التفاصيل ينظر: الخوئي، محمد جواد الحسني، المعين على معجم رجال الحديث، مراجعة محمد الفلسفي، ط1، مطبعة مؤسسة (الأستانة الرضوية المقدسة)، 1415هـ ،337/12.

[56] فقد روي عن أبو عبد الله: والعبد الصالح وأبي الحسن وأبي الحسن الأول وأبي إبراهيم. وأبي الحسن الماضي وأبي الحسن موسى بن جعفر (عليهم السلام).وقد روى عنه بعض الشخصيات الشيعية مثل: ابن أبي عمير وابن محرز وإبراهيم بن أبي محمود وجعفر بن عيسى وجعفر بن عيسى بن عبيد وجعفر بن محمد وجميل والحريز والحسين ابنه وحماد بن عثمان وسعد بن أبي خلف وسعدان وصالح مولاه وعبد الرحمن بن أعين وعبد الرحمن بن الحجاج وعلي بن أبي حمزة ومحمد بن أبي حمزة ويعقوب بن يزيد. ينظر: المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت413هـ)، الاختصاص، ط.بيروت،1982، ص[286]. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسين (ت460هـ)، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط1، قم، 1380هـ ، 1/ 16 – 17. ولمزيد من التفاصيل ينظر: النجفي، محمد درياب، مشيخة النجاشي توثيقهم و طرقهم إلى الأصول، ط1 ، مطبعة رمضان، 1413هـ ، ص[201].

[57] الحائري، محمد بن علي الأردبلي، جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطبق والإسناد، ط. قم، 1303هـ، 1/ 609 – 610.

[58] تفسير العباسي، 17/2.

[59] سورة الأعراف/ آية(33).

[60] سورة البقرة/آية(219).

[61] فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، دار الملاك(بيروت)،4،213/2000 – 214.

[62] الأصفهاني ، حسن الموسوي،ثقاة الرواة، ط1، شريعت. قم، 1382هـ ، 78/3.

[63] الأسدي، ص[147].

[64] الأعلمي الحائري، محمد حسين، دائرة المعارف الشيعية العامة، ط2،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات(بيروت)، 1993، 402/13. ولمزيد من التفاصيل ينظر: التفريشي: مصطفى عبد الحسين الحسني ، نقد الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت، ط. قم، 1418هـ ، 312/3.

[65] شرف الدين، عبد الله، مع موسوعات رجال الشيعة، ط1، مطبعة الإرشاد للطباعة والنشر،بيروت، 1991، ص[227].

[66] الكشي، رجال الكشي، ص ص[366 - 367].

[67] المصدر نفسه، ص[367].

[68] المصدر نفسه، ص[367].

[69] الأصفهاني، ثقاة الرواة،82/3.

[70] المصدر نفسه، 82/3.

[71] المصدر نفسه، 82/3.

[72] المصدر نفسه، 82/3.

[73] المصدر نفسه، 82/3.

[74] الكشي، رجال الكشي، ص371.

[75] المصدر نفسه، ص371.

[76] المامقاني، تنقيح المقال، ط. النجف، 315/2.

[77] ينظر: الحائري المازندراني، أبي علي محمد بن إسماعيل (ت1216هـ)، منتهى المقال في أحوال الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث، (بلا.ت)، (بلا.ط)، 84/5. العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام موسى الكاظم(ع)، ط2، دار الصفوة (بيروت)، 1993، 1/ 424 – 425.

[78] ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، 138/48.

[79] الوائلي، أحمد، هدية التشيع، ط1، قم، 2002، ص ص 39 – 40.

[80] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين(ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط1. القاهرة، 1938، 86/2.

[81] ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري (ت630هـ) ، الكامل في التاريخ، ط2، بيروت،1976، 375/4.

[82] المصدر نفسه، 375/4.

[83] ينظر،: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت 292هـ)، تاريخ اليعقوبي،ط1، بيروت، 1980، 112/2.

[84] المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تصحيح: محمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة، 1934، 66/1.

[85] ينظر: حيدر، أسد، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة مع إضافات وتحقيقات جديدة، ط5 ، بيروت، 2001، 79/3.

[86] ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (ت 328هـ)، الفقد الفريد، ط2، القاهرة، 1953، 84/1.

[87] المجلسي، بحار الأنوار، 96/48.

[88] الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد (ت356هـ)، مقاتل الطالبين،ط1، مطبعة عترة (إيران)، 1425هـ، ص430.

[89] المسعودي، مروج الذهب ،335/3:، ط1. القاهرة، 86/2. الأصفهاني، مقاتل الطالبين،ص430. ابن الطقطقي، الفخري،ص171.

[90] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255هـ)، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط1،القاهرة،1914، 31/2.

[91] الخطيب البغدادي، ابو بكر أحمد بن علي (ت463هـ)، تاريخ بغداد، ط1، القاهرة، 3،96/1931. ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوكوالامم، تحقيق: سهيل زكار،ط. حيدر آباد الركن،1357هـ، 96/3. ابن دحية، أبي الخطاب عمر بن ابي علي المعروف بذي النسبين (ت633هـ)، كتاب النبراس في تاريخ بني العباس، تصحيح وتعليق، عباس العزاوي، ط. بغداد، 1946،ص87.

[92] الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد (ت356هـ)، الأغاني، ط.القاهرة، 1974، 225/5.

[93] المجلسي، بحار الأنوار، 178/48.

[94] ابن شهر آشوب، أبي جعفر محمد بن علي السروري (ت588هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرست: يوسف البقاعي، ط. قم، 1421هـ، 19/2.

[95] الجاحظ، التاج ، 31/2.

[96] ولهاوزن، يوليوس، الدولة العربية وسقوطها، ترجمة: يوسف العش، ط. دمشق، 1951،ص489.

[97] الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ)، الملل والنحل: تحقيق، محمد سيد كيلان، ط2، بيروت، 1975، 229/1.

[98] الكليشي، محمد بن يعقوب الرازي(ت329هـ)، أصول الكافي،ط1، طهران، 1398هـ، 95/1.

[99] الكشي، رجال الكشي، ص[530].

*****أرضخ له: أي أعطاه قليلاً من كثير. الرازي، مختار الصحاح، ص[222].

[100] فضل الله، تفسير من وحي القرآن، 14/3.

[101] النجاشي، رجال النجاشي، ص[209].

[102] سورة هود/ آية (113).

****** الحالق: أي تحليق الطائر وارتفاعه في الطيران. الرازي، مختار الصحاح، ص[150].

******* سرادق: جمعها (سرادقات) وهي التي تمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسف أي قطن فهو (سرادق) يقال بيت (مسردق) . الرازي، مختار الصحاح، ص[294].

[103] الكليشي، أصول الكافي، 96/1.

[104] المصدر نفسه، 1/ 96 – 97.

[105] سورة الحج/ آية (78).

******** النجيب:من الابل، وجمعه نجائب ونجب، الرازي، مختار الصحاح، ص[649].

[106] المجلسي، بحار الأنوار، 104/48.

[107] الصغير، محمد حسين علي، الأمام موسى بن جعفر (ع) ضحية الإرهاب السياسي، ط1، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر(بيروت)، 2005، ص[209].

[108] ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص[209].

[109] فوزي ، محمد، رجال حول أهل البيت(عليهم السلام)، ط1، دار الصفوة، بيروت، 1993، 166/2.

********* الدراعة،مفردة (دراريع)، وهو درع من الحديد، وأدرع الرجل أي لبس الدرع. الرازي، مختار الصحاح، ص[203].

[110] ابن شهرآشوب، المناقب، 480/3.

[111] القمي، عباس (ت1359هـ)، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، ط5، قم2، 1422هـ ، 316/2.

[112] ابن شهرآشوب، المناقب، 408/3.

[113] الأصفهاني، ثقاة الرواة، ص[83].

[114] الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي القمي(ت381هـ)، عيون أخبار الرضا(ع) ، ط1، قم، 1378هـ، 69/1.

[115] المصدر نفسه، 70/1.

[116] المجلسي، بحار الأنوار، 137/48.

[117] القمي، منتهى الآمال، 316/2.

[118] المصدر نفسه، 316/2.

[119] الحائري المازندراني، منتهى المقال، 84/5.

[120] ينظر: الطوسي، أبي جعفر بن الحسن (ت460هـ)، الغيبة، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري وآخرون، ط1، طهران، 1381هـ، ص[63].

[121] المصدر نفسه، ص[63].

********** فدك قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة. وهي أرض يهودية كلن يسكنها طائفة من اليهود في مطلع تاريخها المأثور ولم يزالوا على ذلك حتى السابعة من الهجرة، حيث قذف الله الرعب في قلوب أهلها فصالحوا رسول الله (صلى

الله عليه وآله) على النصف من فدك وروي أنه صالحهم عليها كلها وقد أصبحت من الموارد العامة للدولة في عهد الخليفتين أبو بكر وعمر ثم أقطعها الخليفة عثمان بن عافان لمروان بن الحكم وظل أمرها أيام بني أميه بين الانتزاع والرد حتى تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، 231/4. وللتفصيل في موضوع فدك ينظر: الحائري القزويني، محمد حسين الموسوي، فدك هدي الأمة إلى إن فدك نحلة، ط. القاهرة، 1976، ص ص[184 – 196]، الصدر، محمد باقر، فدك في التاريخ – التشريع والإسلام – بحث حلول المهدي، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للشهيد الصدر(قده)، ط1، شريعة – قم، 2002، ص[35]. الميانجي، علي الأحمدي، مواقف الشيعة، ط2، قم، 2003، 405/2.

[122] المصدر نفسه، ص ص [63 – 64].

[123] ينظر: أبو قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)، الامامة و السياسة، ط. القاهرة، 1934، 191/1.

[124] ابن الأثير، الكامل ، 551/3.

[125] سورة الاسراء/آية (26).

[126] الكليشي، أصول الكافي، 456/1.

[127] الطوسي، أختيار معرفة الرجال، ص[434].

[128] المصدر نفسه، ص[434].

[129] المصدر نفسه، ص[434].

[130] المصدر نفسه، ص[434].

[131] أبن حجر، أحمد بن هيثم الكوفي (من أعلام القرن الرابع الهجري)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل النرندقة، إعداد: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط2، القاهرة، 1385هـ، ص [204]. ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد بن أحمد (ت855هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الفريري، ط1، النجف، 1422هـ، ص[22].

[132] ابن الجوزي، المنتظم، 101/3.

[133] النجاشي، رجال النجاشي، ص[209].

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري (ت630هـ) .

. الكامل في التاريخ، ط2، بيروت،1976.

ألأسدي، أبو منصور الحسن بن يوسف (ت726هـ).

. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق، جواد الفيومي، ط2، مطبعة باقري (ايران)، 1422هـ.

الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد (ت356هـ).

. الأغاني، ط.القاهرة، 1974.

. مقاتل الطالبين،ط1، مطبعة عترة (إيران)، 1425هـ.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255هـ).

. التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط1،القاهرة،1914.

الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبد (ت331هـ).
. الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون،ط1، القاهرة، 1938.
ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ).
. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،، تحقيق: سهيل زكار، ط. حيدر آباد الركن، 1357هـ.
الحائري المازندراني، أبي علي محمد بن إسماعيل (ت1216هـ).
. منتهى المقال في أحوال الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث، (بلا.ت)، (بلا.ط).
أبن حجر، أحمد بن هيثم الكوفي (من أعلام القرن الرابع الهجري).
. الصواعق المحرقة في الرد على أهل النرندقة، إعداد: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط2، القاهرة، 1385هـ.
الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الروحي (ت 626هـ).
. معجم البلدان، ط. بيروت، (بلا. ت).
الخطيب البغدادي، ابو بكر أحمد بن علي (ت463هـ).
. تاريخ بغداد، ط1، القاهرة،1931.
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ).
. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط. بيروت، (بلا. ت).
. المقدمة، ط. القاهرة، 1966.
ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ).
. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد،(القاهرة)، 1948.
ابن دحية، أبي الخطاب عمر بن ابي علي (ت633هـ).
. كتاب النبراس في تاريخ بني العباس، تصحيح وتعليق، عباس العزاوي، ط. بغداد، 1946.
الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر (ت 666هـ).
. مختار الصحاح، ط. الكويت، 1403هـ.
الزركلي، خير الدين (ت1396هـ).
. الأعلام، قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب و المسغربيين والمستشرقين،ط3، بيروت، 1982.
ابن شهر آشوب، أبي جعفر محمد بن علي السروري (ت588هـ).
. مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرست: يوسف البقاعي، ط. قم، 1421هـ.
الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ).
. الملل والنحل: تحقيق، محمد سيد كيلان، ط2، بيروت، 1975.
ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد بن أحمد (ت855هـ).

. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الفريري، ط1، النجف، 1422هـ.
الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي القمي(ت381هـ).
. عيون أخبار الرضا(ع) ، ط1، قم، 1378هـ.
الطباطبائي، محمد مهدي بحر العلوم (ت1212هـ).
. رجال السيد بحر العلوم، تحقيق وتعليق: محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، ط1، النجف، 1966.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 320هـ).
. تاريخ الرسل والملوك، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء، ط. القاهرة، 1879.
الطرطوشي، أبي بكر محمد بن محمد (ت 520هـ).
. سراج الملوك، ط. بولاق(مصر) ، 1289هـ.
ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ).
. الفخري في الآداب السلطانية، ط1، بيروت، 1966.
الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت 460هـ).
. اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تحقيق: حسن مصطفوي، ط. أصفهان، (بلا.ت).
. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط1، قم، 1380هـ .
. رجال الطوسي، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد صادق آل بحر العلوم ط1. طهران،1381 هـ.
. الغيبة، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري وآخرون، ط1، طهران، 1381هـ .
. الفهرست،ط. النجف، 1937.
ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (ت 328هـ).
. الفقد الفريد، ط2، القاهرة، 1953.
ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 271هـ).
. الامامة والسياسة، ط. القاهرة، 1934.
القمي، عباس (ت1359هـ).
. منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، ط5، قم2، 1422هـ .
القهبائي، محمد بن قاسم بن الأمير الحسني .
. مجمع الرجال، تصحيح وتعليق: ضياء الدين الأصفهاني، ط. أصفهان، 1384هـ .
ابن كثير، أبو الفدا اسماعيل بن عمر (ت 774هـ).
. البداية والنهاية، ط. القاهرة، (بلا. ت).
الكشي، أبي عمر ومحمد بن عمر (ت340هـ).

. رجال الكشي، قدم له وعلق عليه ووضع فهارسه: احمد الحسيني، ط.مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (كربلاء)، (بلا. ت).
الكليني، محمد بن يعقوب الرازي (ت 329هـ).
. أصول الكافي، ط1، طهران، 1398هـ.
الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي(ت 450هـ).
الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ضبطه وصححه: احمد عبد السلام، ط3، بيروت، 2006.
المجلسي، محمد بن باقر(ت1111هـ).
. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: تحقيق دار أحياء التراث العربي،(بيروت)، هـ1395.
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين(ت346هـ).
. التنبيه والإشراف، راجعه وعني بتصحيحه: عبد الله إسماعيل الصاوي، ط. القاهرة، 1938.
. مروج الذهب ومعادن الجوهر ،، القاهرة، 1938.
المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت413هـ) .
. الاختصاص، ط.بيروت،1982.
. الإرشاد، تحقيق: حسين الاستادولي، علي أكبر الغفاري، ط5، النجف، 2001.
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ).
. السلوك لمعرفة دول الملوك، تصحيح: محمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة، 1934.
ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت 711هـ).
. لسان العرب، ط. بيروت، (بلا. ت).
النجاشي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت 450هـ)
. رجال النجاشي، ط. مصطفوي (ايران)، 1317هـ.
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت 292هـ).
. تاريخ اليعقوبي، ط1، بيروت، 1980.

قائمة المصادر الثانوية

الأصفهاني ، حسن الموسوي.
. ثقاة الرواة، ط1، شريعة. قم، 1382هـ .
الأعلمي الحائري، محمد حسين.
. دائرة المعارف الشيعية العامة، ط2،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات(بيروت)، 1993.
أمين، أحمد.
. ضحى الإسلام، ط5، القاهرة، 1952.

الأمين، محسن.
. أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، ط. بيروت، 1998.
برانق، محمد أحمد.
. الوزراء العباسيون، منشورات لجنة البيان العربية، المطبعة النموذجية (القاهرة)، 1948.
التفريشي، مصطفى عبد الحسين الحسني .
. نقد الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت، ط. قم، 1418هـ .
الحائري، محمد بن علي الاردبيلي.
. جامع الرواة وازاحة الشبهات عن الطبق والاسناد، ط.قم، 1403هـ.
الحائري القزويني، محمد حسين الموسوي.
. فدك هدي الأمة إلى إن فدك نحلة، ط. القاهرة، 1976.
الحلي، تقي الدين الحسن بن علي.
. كتاب الرجال، ط. طهران ، 1383هـ .
حيدر، أسد.
. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة مع إضافات وتحقيقات جديدة، ط5 ، بيروت، 2001.
الخوئي، أبو القاسم بن علي.
. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، (بلا.ط)، 1992.
. المعين على معجم رجال الحديث، مراجعة محمد الفلسفي، ط1، مطبعة مؤسسة (الأستانة الرضوية المقدسة)، 1415هـ.
شرف الدين، عبد الله.
. مع موسوعات رجال الشيعة، ط1، مطبعة الإرشاد للطباعة والنشر،بيروت، 1991.
الصدر، محمد باقر.
فدك في التاريخ – التشريع والإسلام – بحث حلول المهدي، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للشهيد الصدر(قده)، ط1، شريعة – قم، 2002.
الصغير، محمد حسين علي.
. الأمام موسى بن جعفر (ع) ضحية الإرهاب السياسي، ط1، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر(بيروت)، 2005.
فضل الله، محمد حسين.
. تفسير من وحي القرآن، دار الملاك (بيروت)، 4، 2000 .
فوزي ، محمد.
. رجال حول أهل البيت(عليهم السلام)، ط1، دار الصفوة، بيروت، 1993.

القرشي، باقر شريف.
. حياة الإمام موسى الكاظم (ع) ،ط. النجف، 1960.
القشيري، محمد تقي.
. قاموس الرجال، ط.قم، 1384هـ .
العطاردي، عزيز الله.
. مسند الإمام موسى الكاظم(ع)، ط2، دار الصفوة (بيروت)، 1993.
الميانجي، علي الأحمدي.
. مواقف الشيعة، ط2، قم، 2003.
النجفي، محمد درياب.
. مشيخة النجاشي توثيقهم و طرقهم إلى الأصول، ط1 ، مطبعة رمضان، 1413هـ .
الوائلي، أحمد.
. هدية التشيع، ط1، قم، 2002.
ولهاوزن، يوليوس.
. الدولة العربية وسقوطها، ترجمة: يوسف العش، ط. دمشق، 1951.
اليوزيكي، توفيق سلطان .
. الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية بين 132 – 447هـ، ط1، مطبعة الإرشاد (بغداد)، 1970.